اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان

العربية أنموذجا

رسالة قدمها إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

محمد عبد الزهرة غافل الشريفي

١٤٣١هـ ٢٠١٠م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ

سورة البقرة: الآية (١٤٢)

الإهداء

إِلى . . . مَنْ كانَ يأتيني بِالسَّحابِ . . .

وَشَهِدَ الغَرْسَ وَلَمْ يَرَ الثَّمَرَ . . .

إِلَيْكَ أَخي : عِماد (١٩٦٥ـ ٢٠٠٩) في ذِكْرى رَحيلِكَ

الأُولى . . .

عَبدُ الحَسَن

إقرار المشرف

أشهد أنَّ هذه الرسالة قد أُعدّت بإشرافي، بمراحلها كافّـة، وأرشّحها للمناقشة.

الإمضاء:

الاسم: أ. م. د. محمد عبد الزهرة غافل الشريفي

التاريخ: / / ٢٠١٠م

بناءً على ترشيح المشرف العلمي وتقرير الخبير العلمي ، أُرشّح هذه الرسالة للمناقشة.

الإمضاء:

رئيس القسم: أ. م. د. رحيم خريبط الساعدي

التاريخ: / / ٢٠١٠م

قرار لجنة المناقشة

نشهد، نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها ، أنّنا قد اطّلعنا على الرسالة الموسومة :
(البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان) ، يوم الخميس ٢٠١٠/١٢/٢ ، وقد ناقشنا الطالب (عبد الحسن عباس حسن) في محتوياتها ، وفيما له علاقة بها ، ونعتقد أنّها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، بتقدير: ( )

الإمضاء
الأستاذ الدكتور
صبحي ناصر حسين
(رئيساً)
/ / ٢٠١٠

الإمضاء
الأستاذ المساعد الدكتور
مشكور كاظم العوادي
(عضواً)
/ / ٢٠١٠

الإمضاء
الأستاذ المساعد الدكتور
حسن عبد المجيد الشاعر
(عضواً)
/ / ٢٠١٠

الإمضاء
الأستاذ المساعد الدكتور
محمد عبد الزهرة غافل الشريفي
(عضواً ومشرفاً)
/ / ٢٠١٠

صادقَ مجلس كلية الآداب/ جامعة الكوفة على قرار لجنة المناقشة.

الإمضاء
الأستاذ المساعد الدكتور
علاء حسين الرهيمي
عميد كلية الآداب/جامعة الكوفة
/ / ٢٠١٠

شكر وعرفان

"من نشرَ ثوبَ الثناءِ فقد أدّى واجبَ الجزاءِ ، وفي كتمانِ الشكرِ جحودٌ لما وجبَ من الحقّ ، ودخولٌ في كفرِ النعمِ" .

أودُّ أن أشكر:

- الأساتذة : الدكتور صاحب أبو جناح (كلية الآداب الجامعة المستنصرية)، والدكتور صباح عباس السالم، والدكتور علي ناصر غالب (كلية التربية جامعة بابل)، والدكتور عماد الدليمي (كلية اللغات جامعة بغداد)؛ لنصحهم إياي في بداية بحثي، والدكتور مشكور العوادي (كلية الآداب جامعة الكوفة)؛ لإرشاده إياي لبعض المقالات المهمة ، وسؤاله عني وعن بحثي .
- أساتذة قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة الكوفة كافّة، ولاسيما الدكتور رحيم خريبط الساعدي ، والدكتور حاكم حبيب الكريطي ، والدكتور خليل عبد السادة.
- الدكتور حيدر غضبان الجبوري: نِعَم الصديق والأخ والمُعين.
- الأستاذ نعمان باقر الخاقاني: لطالما قضيت عني ما كان واجباً علّي.
- الأستاذ يوسف شريف يوسف المعمار: لن أنسى موقفك معي.
- عائلتي الكبيرة؛ لأدائهم واجباتي، ولاسيما أخي محمد باقر (أبو علاء) .
- عائلتي الصغيرة؛ شكراً لصبركم علّي، وتحمّلكم انشغالي عنكم ، ولولا نكرانكم الذات لما تّم هذا البحث.
- الإخوة : نائل تويج، وحيدر الوائلي، وفراس زنبور، وفاضل الشيباني.
- الإخوة الأعزاء: زملائي في الدراسات العليا ، وأحمد الكعبي المنضّد الصبور.
- موظفي مكتبة: الروضة الحيدرية، والحكيم، والإمام الحسن (ع)، وكلية الآداب في جامعة الكوفة، والمكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب في جامعة بابل، ومكتبة المجمع العلمي العراقي، ومكتبة كلية اللغات في جامعة بغداد، ومكتبة مصادر في الوزيرية .
- كل من أعانني بكلمة أو سؤال أو تشجيع.

الباحث

جدول ببعض رموز المستشرقين المستعملة في البحث

الرمز	ما يعادله بالكتابة المقطعية	ما يعادله في العربية
a	ـَ	الفتحة القصيرة
ā	ـَا	ألف المدّ
i	ـِ	الكسرة القصيرة
i	ـِيْ	ياء المدّ
u	ـُ	الضمة القصيرة
ū	ـُو	واو المدّ
w	ـُـ	الواو المتحركة
y	ـِـ	الياء المتحركة
a□	ـَـ	الهمزة المفتوحة
Š	شـ	الشين
□	قـ	القاف

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	**٤-١**
مدخل إلى دراسات المستشرقين الألمان	**٢٩-٥**
الاستشراق	٢٩-٦
تعريفه	٦
دوافع نشأته	٦
بدايته	٧-٦
المستشرقون الألمان	٧
البدايات المتواضعة	٨-٧
صراع الاستقلال	٩-٨
التلاقح والتأسيس	١٣-١٠
تطّور دراساتهم	١٦-١٣
مظاهر التطّور	١٨-١٦
خصائص دراساتهم	٢٢-١٨
أثر دراساتهم: (البداية والتطّور)	٢٥-٢٢
أثر الاستشراق الألماني في دراسة العربية	٢٩-٢٥
الفصل الأول: الدراسات اللغوية عند العرب	**٦٧-٣٠**
نشأتها، أصالتها	٣٤-٣١
• الدراسات الصوتية	٤١-٣٤
• المعجم العربي	٥٠-٤١
• النحو العربي	٦٧-٥٠
الفصل الثاني: العربية الفصحى والخط العربي	**١٠٨-٦٨**
• الفصحى والرواية اللغوية	٨٢-٦٩
• التعريب: (المعرّب عند برجشتراسر، المآخذ على محاولته)	٩١-٨٢
• الخط العربي وعلاقة رسم المصحف بالقراءات القرآنية	١٠٨-٩١
الفصل الثالث: مستويات العربية	**١٩١-١٠٩**
* المستوى الصوتي:	١٣٣-١١٠
• الفوناتيك (أصوات العربية منفردة)	١١٦-١١١

الموضوع	رقم الصفحة
• المصطلح الصوتي	١١٧
• الفونولوجيا (أصوات العربية في التركيب)	١١٧-١٣٣
* المستوى الصرفي:	١٣٤-١٦١
موضوعات الصرف العربي	١٣٤
الصرف في ضوء علم اللغة الحديث	١٣٥
موضوعات الصرف عند المستشرقين الألمان	١٣٥-١٦١
* المستوى التركيبي:	١٦٢-١٩١
أ. أقسام الجملة العربية	١٦٢-١٦٥
ب. من أنواع الجمل	١٦٥-١٧٢
ج. بعض الأساليب	١٧٢-١٨١
د. العمل بين الشكل والمعنى	١٨١-١٩١
هـ. المصطلح النحوي	١٩١
الفصل الرابع: مناهج البحث اللغوي	**١٩٢-٢٥٧**
مقدمة	١٩٣-١٩٥
* المنهج الوصفي	١٩٥-٢٠٧
ولاً : مؤلفاتهم على المنهج الوصفي	١٩٧-١٩٨
ثانياً : مصادرهم في المنهج الوصفي	١٩٨-١٩٩
ثالثاً : نظاما المنهج الوصفي:	١٩٩-٢٠٧
• النظام الخارجي	١٩٩-٢٠٠
• النظام الداخلي	٢٠٠-٢٠٧
أ. الاستقراء	٢٠٠-٢٠١
ب. التصنيف (التقسيم)	٢٠١-٢٠٤
ج. الاصطلاح	٢٠٤-٢٠٥
د. التقعيد	٢٠٥-٢٠٧
* المنهج التاريخي	٢٠٧-٢٤٠
• لأسلوب المولّد : (بدايته ، أسباب نشأته ، مصادره ، مفهومه)	٢٠٩-٢١٥
• التغّير اللغوي	٢١٦
١. التغّير الصوتي	٢١٦-٢١٩

الموضوع	رقم الصفحة
٢. التغيّر الصرفي:	٢١٩-٢٢٦
أ. القياس	٢٢٠-٢٢٤
ب. السهولة والتيسير	٢٢٤-٢٢٦
٣. التغيّر النحوي:	٢٢٦-٢٣٠
أ. الأدوات	٢٢٦-٢٢٨
ب. الأساليب	٢٢٨-٢٣٠
• المعجم التاريخي	٢٣٠-٢٣٣
(المعجم اللغوي التاريخي) لفيشر	٢٣٣-٢٤٠
ولاً : نبذة عنه	٢٣٣-٢٣٥
ثانياً : أُسسه	٢٣٥-٢٣٧
ثالثاً : تقويم معجم فيشر	٢٣٧-٢٤٠
* المنهج المقارن	٢٤٠-٢٥٧
أ. خصائص العربية:	٢٤٤-٢٤٧
خصائص الأسماء	٢٤٤-٢٤٥
خصائص الأفعال	٢٤٥-٢٤٧
ب. التأصيل والتصحيح	٢٤٧-٢٥٣
ج. المقارنة التاريخية	٢٥٣-٢٥٧
الخاتمة: النتائج والمقترحات	**٢٥٨-٢٦٣**
ملحق بتراجم أهم المستشرقين الألمان وسواهم	**٢٦٤-٢٧٣**
مصادر البحث ومراجعه	**٢٧٤-٣٠٠**
الملخص الإنجليزي	**A**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الهادي الأمين، وعلى آله الطيبين المطهرين، ومن تبعه بحقٍّ وصدقٍ ويقين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد

فقد استقطبت اللغة العربية غير العرب دارسين لها، فتعلّموها وشغفوا بها على نحوٍ لافت للنظر مرتين، الأولى حين انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، فاحتاج أبناء الشعوب غير العربية (الموالي) أن يتقنوا العربية؛ لكونها لغة الدين والدولة والحضارة، حتى برع منهم علماء فيها. والثانيةلّما درسها الغربيون واهتموا بتعلمها لأسباب شتّى، منها ما هو ديني أو سياسي أو علمي، في إطار الحركة الاستشراقية.

إشكاليات البحث وتساؤلاته

سعى الباحث إلى الإجابة عن إشكاليات البحث وتساؤلاته، وأبرزها:

١. مكانة اللغة العربية في دراسات المستشرقين الألمان.
٢. القضايا والمسائل التي اهتموا بها، والمناهج التي في ضوئها درسوا العربية، والأحكام التي أطلقوها، والتفسيرات التي تبنّوها.
٣. أثر الحركة الفكرية في أوربا ولاسيما في ألمانيا على المستشرقين، وما تبع ذلك من إسقاطات، وكذلك منطلقاته ومرجعياته في وصف اللغة العربية وتقعيدها وتفسيرها، سواء أكانت إيديولوجية أم معرفية؟
٤. تقويم الُمنجز اللغوي للمستشرقين الألمان، وإيضاح جديده، وأثره في الدراسات اللغوية للمحدثين.

أهمية الموضوع

في رأي الباحث، يكتسب هذا الموضوع أهميته من:

١. الاهتمام بمعرفة رأي الآخر في الُمنجز اللغوي العربي، ومحاكمة هذا الرأي، والتفكير بجديده، وربما تبنّيه.
٢. السعي إلى تجديد الدرس اللغوي العربي على أساس أحكام (غربيين) اختصّوا بالعربية.
٣. غُربة المستشرق الألماني عن العربية، تجعله أبصر بمواضع النقد، وأشدّ جرأة على ارتياد آفاق جديدة في دراستها.
٤. إقامة الصلة بين التراث اللغوي العربي ، والدراسات اللغوية للمستشرقين، مما يُعدُّ أنموذجاً للحوار بين الشرق والغرب حول مائدة العربية.

إطار الموضوع وحدوده

في عنوان الموضوع شيء من العموم، لو خصّصه الباحث لأطال. ولما اصطفى الباحث بعضاً من مؤلفات المستشرقين الألمان وبحوثهم، وجب عليه أن يُقيّد عنوانه بقيود:

١. اقتصر الباحث على دراساتهم المطبوعة والمترجمة والموجّهة نحو دراسة العربية الفصحى. وإن استأنس ببعض قواعد الساميات المتّفق عليها.
٢. عكف الباحث على دراسة مؤلفات سبعة مستشرقين ألمان، لهم عشرة كتب، ومقالات عدّة، وهم:
   - تيودور نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠): تاريخ القرآن، واللغات السامية.
   - برجشتراسر (١٨٨٦-١٩٣٣): التطور النحوي للغة العربية.
   - أوغست فيشر (١٨٦٥-١٩٤٩): المعجم اللغوي التاريخي.
   - شاده (١٨٨٣-١٩٥٢): علم الأصوات عند سيبويه وعندنا.
   - بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦): فقه اللغات السامية، وتاريخ الأدب العربي، وتاريخ الشعوب الإسلامية.
   - يوهان فك (١٨٩٤-١٩٧٤): العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب.
   - إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية (ط١، ١٩٢٩).

   هذا فضلاً عن البحوث والمقالات المترجمة لبعض هؤلاء المستشرقين حصراً، توزّعت في المجلات ودائرة المعارف الإسلامية وبعض الكتب.
٣. يقصد الباحث بـ (البحث اللغوي) ما تعارف عليه الدرس اللغوي الحديث من ضم المستوى التركيبي إليه.

ولم يرمِ الباحث من اختياره (المستشرقين الألمان)، عزلهم عن نظرائهم من مستشرقي البلدان الأخرى، فهذا فصل للأوشاج العلمية، ولكن تميّز جهودهم وتنّوعها والتنويه بموضوعيّتها وحضورها الفذ، وما يُحتّمه المنهج العلمي من ضرورة تحديد المادة العلمية المدروسة، كلّها أسباب حملت الباحث على أن يلتجأ إلى معيار المواطنة.

الدراسات السابقة

لم يُسبق الباحث بمن وقف عند دراسة جهود المستشرقين اللغوية في ضوء معيار المواطنة على حدٍّ اطّلاعه المتواضع، وتتّبعه القليل. وهناك أطروحة دكتوراه للطالب فارس حسن محسن السلطاني، عنوانها (جهود المستشرقين اللغوية)، وهي لم تتعارض مع هذا البحث، للاختلاف الكبير في إطار البحث ومنهجه وقضاياه ومادته، وحتى أسلوب التناول. وللاستدلال على عدم التعارض، تكفي المقارنة- على سبيل المثال لا الحصر- بين موضوع (أقسام الكلام) أو (معجم فيشر) في البحثين، لمعرفة حجم الاختلاف والتباين. وإن أفاد الباحث منها في مواطن يُشار إليها.

صعوبات البحث

كان البحث في دراسات المستشرقين الألمان، محاولة مُغرية وممتعة، لكنها شاقّة؛ لمواجهة الباحث صعوبات، أهّمها:

١. جدَّة دراسات المستشرقين على الباحث، وثراؤها بالآراء والتفسيرات الجديدة، وهذا تطلّب من الباحث شيئين، أولهما مرور الباحث على العربية وتاريخ دراساتها وفقهها ومستوياتها ومسائل قرآنية كالقراءات ورسم المصحف، والمناهج اللغوية. وثانيهما حضور الباحث على صفحات بحثه ليدلو برأيه مصححاً ومناقشاً ومقّوماً ومعارضاً وربما مؤيداً .

٢. تّنوع الأعمال المدروسة واختلاف قضاياها ومنهجها، وحجومها، مما أوجب اختلاف العرض والمعالجة بحسب المادة الخام.

٣. من صعوبات هذا البحث، مصادره. فالكتب منها تشّعبت وتناثرت وتباعدت أماكنها، أو ندرت، فضلاً عن البحوث والمقالات، فقد كابد الباحث– وهو ما يعرفه المختصون– صعوبة الحصول عليها، ولاسيما إذا شكّلت ربع المصادر. وآخر الصعوبات اجتهاد القائمين على المكتبات في فهرسة الدراسات الاستشراقية من غير معيار واضح وموحّد.

منهج الباحث

أهم سمات منهج الباحث، ما يأتي:

١. قوامه: الوصف والتفسير والتقويم، في الأعم الأغلب.

٢. رأي المستشرق الألماني هو محور البحث، وعليه تُعقد المناقشة، وربما يُستعان أحياناً بعرض آراء غير الألمان.

٣. اقتصر الباحث– في سبيل الخروج بتقويم عام– على عرض القضايا والاهتمامات التي تُشكّل ملمحاً في دراسات هؤلاء المستشرقين، وترك من التفصيلات التي لا تتّسق بضابط منهجي، ولا تأتلف مع غيرها بوحدة الموضوع.

٤. احتكم الباحث إلى الموضوعية، فلم يتنكّر لتراثه اللغوي الثّر، وأّنى له ذلك ؟ ولم يبخس المستشرقين جهودهم.

هيكل البحث وخطّته

اكتمل البحث واستوى في: مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة وملحق . فأما المدخل، فعرَّف بالاستشراق عموماً، ثم انتقل إلى عرض بدايات الاستشراق الألماني ، وتطّور دراساته، وأهم عوامل هذا التطّور، ومظاهره فخصائصه. وكشف عن أثر هذه الدراسات عند المحدثين.

وفي الفصل الأول عنى الباحث بتاريخ الدراسات اللغوية عند العرب: من حيث بواعثها وتطورها وأهميتها والمآخذ عليها وأصالتها. واشتمل الفصل الثاني على دراسة ما يّتصل بالفصحى وروايتها والخط العربي ورسم المصحف والقراءات القرآنية. وفي الفصل الثالث عرض الباحث لمستويات العربية الثلاثة: الصوتي والصرفي والتركيبي ، مقسماً كل مستوى بحسب قضاياه. مع عرض مصطلحات كل مستوى وما يقابله في العربية. واختص الفصل الرابع بالحديث عن مناهج دراسة العربية عند المستشرقين الألمان، وكانت ثلاثة مناهج، ذكرها الباحث بحسب أقربها ظهوراً فالأبعد ثّم الأبعد. أما الخاتمة فلم تكن تلخيصاً للبحث، فقد عرضت نتائجه، فضلا عّما عنَّ للباحث من مقترحات. وفي الملحق ترجم الباحث لأهم المستشرقين الذين وردت أسماؤهم في البحث .

مصادر البحث ومراجعه

إذا ما استثنى الباحث دراسات المستشرقين الألمان، عماد بحثه، فقد استعان لإكمال هذا البحث بأهم مصادر التراث اللغوي ابتداءً بكتاب سيبويه حتى مؤلفات السيوطي مروراً بالمعاجم العربية وكتب التفسير والقراءات ومعاني القرآن والبلاغة العربية. وقد نهل الباحث من مراجع المحدثين:كتباً وبحوثاً، منهم على سبيل المثال: إبراهيم أنيس وتمام حسان وكمال بشر وعبد الصبور شاهين وسعيد حسن بحيري ومهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي وغانم قدوري الحمد وسواهم من الدارسين. وقد استعمل الباحث مؤلفات بعض المستشرقين غير الألمان، مثل: هنري فليش وجان كانتينو وموسكاتي وجون هيوود وسواهم.

وأخيراً، فالبحث والباحث مدينان للمشرف العلمي الأستاذ المساعد الدكتور محمد عبد الزهرة غافل الشريفي، فقد رعى البحث حين قدحت فكرته في ذهن صاحبه، حتى استوى على سوقه، فإن كان طّيباً فبه طاب، وبفضل توجيهاته وآرائه أينع وأثمر والباحث ليُكبر به الروح العلمية الشفافة والخلق الرصين، والتواضع الّجم، جزاه الله عن طلاّبه أفضل الجزاء.

وفي الختام، إن نال هذا البحث الرضا والقبول، فذلك توفيق من الله وحُسن تأييده، وإلاّ فما قصَّر الباحث في اجتهاده، لا حرمه الله التوفيق، وهداية السُّبل.

مدخل إلى دراسات
المستشرقين الألمان

الاستشراق

تعريفه

يتباين تعريف الاستشراق من باحث لآخر؛ لتنوع موضوعاته وعدم تجانسها، أو لاختلاف توجهات باحثيه ومؤرخيه، أو لغيرهما من الأسباب. وهذا التنوع والاختلاف جعلا بعض الباحثين يرون تعريفه عصياً أو ضرباً من المحال[١].ولا يوافقهم الباحث منتقياً تعريفاً يراه وافيا بالغرض، يضم في إطاره العام الكم الكبير والمتنوع من الدراسات الاستشراقية في مختلف فروع المعرفة، فالاستشراق "تسمية شاملة دالة على دراسة العلوم واللغات والحضارات الخاصة بآسيا وأفريقيا منذ العصور المبكرة وحتى العصر الحاضر..."[٢].

دوافع نشأته

اختلف عددها بين الباحثين[٣]، ولعل أهمها دوافع: اقتصادية، وأيدلوجية، وعلمية، ودينية، واستعمارية، ومنهم من اقتصر على بعضها.

بدايته

يختلف الباحثون[٤]أيضاً بتحديد بداياته، فمنهم من يردّها إلى (القرن العاشر الميلادي) بترجمة علوم العرب أو (القرن الثاني عشر الميلادي) بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية أو (القرن الرابع عشر الميلادي) بتأسيس كراس لتعليم العربية بخمس جامعات أوربية، أو (القرن السابع عشر الميلادي) أو (الثامن عشر الميلادي) بأول ظهور لمصطلح الاستشراق (Orientalism) في الانجليزية، ومنهم من يرى غير ذلك. وليس من قصد الباحث أن يتتبع تاريخ الاستشراق وتفصيلاته، لئلا يخرج عن سياق البحث، ولكن من قصدِه أن يصحح ما يتردّد عند مؤرخي الاستشراق، بأنَّ أوربا ما عرفت اللغة العربية قبل ترجمة القرآن الكريم لأغراض تبشيرية، أّما هذا فرأيٌ جانب الحقيقة. فلقد درّست جامعاتُ أوربا العربيةلغةً للعلوم والحضارة[٥]،

---

[١] ظ: نقد الخطاب الاستشراقي، د. ساسي سالم: ١٧/١ ، وأثر الاستشراق، د. نديم جابري: ٧٥-٧٦.

[٢] الاستشراق الألماني في السبعينيات، روميرـ ضمن كتاب (الاستشراق الألماني، د. أحمد محمود هويدي):٩١، وظ٩٤-٩٥. وللإطلاع ظ: الدراسات القرآنية في ألمانيا، د. أحمد محمود هويدي:٦٧، والمستشرقون والدراسات القرآنية: د. محمد حسين الصغير:١١ ، ونقد الخطاب الاستشراقي: ١٧/١-٢٧.

[٣] ظ: تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان: ١٤٥/٤ ، ومناهج المستشرقين، د. سعدون محمود: ٢٠-٢٣، والمستشرقون والدراسات القرآنية: ١٣-١٨، وافتراءات المستشرقين، د. يحيى مراد: ٢٣-٣٥.

[٤] ظ: المستشرقون، نجيب العقيقي: ١٢٠/١، وتاريخ حركة الاستشراق: يوهان فك: ١٥،١٧-٢٠، والإسلام والمسلمون في ألمانيا، الشيخ طه الولي: ٣٧، وافتراءات المستشرقين: ٣٦-٤٩.

[٥] ظ: موجز تاريخ علم اللغة، روبنز: ١٦٩-١٨٠، وتاريخ آداب اللغة العربية: ١٤٤/٤.

هذا فضلاً عما كان للأندلس من أثر في نشوء الاهتمام الأوربي بالعربية وبعلوم المسلمين[١]. وبهذا يقرر الباحث بأنَّ المعرفة الأوربية المبكرة للعربية لا صلة لها بالحركة الاستشراقية. ومن يكشفعن جذور العلاقة بين الاستشراق وأهمية تعلّم العربية، فإنه لا يكشف جديداً لاعتراف مؤرخي الاستشراق الغربيين أنفسهم بذلك[٢].

المستشرقون الألمان

البدايات الأولى

تتداخل البدايات الأولى للاستشراق الألماني بالصراعات الدينية. وقد دعت ترجمة الكتاب المقدّس- بعهديه- من اللغات الشرقية إلى اللاتينية، إلى اقتناء المخطوطات العربية والعبرية ودراسة قواعد لغات الشرق[٣]. وبوجود سياقات مثل التبشير أصبحت اللغة في عصر النهضة بأوربا محط دراسة مركزة، فبدأت دراسة العربية في أحضان كليات اللاهوت[٤]. ويغالي مستشرقون بإعادة بدايات الاستشراق إلى (القرن الثاني عشر الميلادي)، ويرى الباحث هذه العودة مغالاة وتجاوزاً على الحقيقة؛ لأنها ماكانت استشراقاً علمياً و"مقاصدها ما كانت معرفية بل تبشيرية"[٥]، تدّرس فيها اللغة لغرض ديني. ثّم ظهر في ألمانيا من رجال الكنيسة من حاول اصطناع أدوات لمكافحة الإسلام أكثر فاعلية من تشويهه،وقد تكلّلت هذه الجهود بقمة هذه التصورات في "أعمال مارتن لوثر عن الإسلام والترك في مطلع القرن السادس عشر"[٦]. ويتفق أغلب مؤرخي الاستشراق الألماني على أنَّ بداية الدراسات العربية في ألمانيا كانت في أواخر (القرن السادس عشر الميلادي)[٧]. والباحث يوافقهم بشرط وصفها بالبدايات المتواضعة وغير المستقلة عن التأثير الديني[٨]. وخلال (القرن السابع عشر الميلادي) كان الاهتمام بالعربية في ألمانيا أقّل بكثير عمّا كان عليه في هولندا أو ايطاليا أو فرنسا أو إنجلترا؛ لقلة المخطوطات العربية والدعم المالي، وكان على المهتمين بالعربية من الألمان السفر إلى هذه البلدان لدراستها

---

[١] ظ: المستشرقون:٦٧٨/٢، الجهود اللغوية في القرن الرابع عشر الهجري د. عفيف عبد الرحمن: ٤٠١.

[٢] ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ١٣، ١٥-٢٠،والدراسات العربية، رودي بارت ، (مقدمة المترجم: ٤)، ٩-١٠.

[٣] ظ: المستشرقون: ٦٧٨/٢، تاريخ حركة الاستشراق: ٤٨-٥٥.

[٤] ظ: اللغة ودارسوها، فيفن لو، ضمن كتاب (الموسوعة اللغوية: ٧٨٥/٣)، وفقه اللغات السامية: بروكلمان (مقدمة المترجم: ٦).

[٥] المستشرقون الألمان، د. رضوان السيد: ١١، ظ: تراث الإسلام، شاخت وبوزورث: ق٦١/١.

[٦] المستشرقون الألمان (د. رضوان): ١١، ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ١٧-١٩.

[٧] ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ٥٥، والاستشراق الألماني إلى أين؟ هارتموت بوتبسين: ١٣٥، والمستشرقون الألمان، صلاح الدين المنجد: ٧/١.

[٨] للإطلاع على هذه البدايات ظ: المستشرقون الألمان (صلاح الدين): ٧/١، وتراث الإسلام: ق٦٣/١، وتاريخ حركة الاستشراق: ٥٥-٦٦، والمستشرقون: ٦٧٨/٢،٦٨١،٦٨٣، والإسلام والمسلمون: ٢٦.

والتعمق بأسرارها وظلّت دراسة العربية متّسمة بقلة ضبط ترجمات التراث العربي، وبقاء دورها مسخراً لتفسير التوراة[١].

صراع الاستقلال

يمثل (القرن الثامن عشر الميلادي)تحولاً مهماً للحركة الفكرية والفنية والأدبية في ألمانيا. فبفضل (التنوير)[*] والحركة الرومانسية والإصلاح الديني والانفتاح السياسي، تطورت دراسة العربية، وخرجت عن التوظيف اللاهوتي، وظهر تحّمس لكل ما هو شرقي[٢]. وسرعان ما عمت أوربا ومنها ألمانيا ترجمات القرآن الكريم بكل اللغات الأوربية الحية في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، فتحسنت صورة الإسلام والنبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم)[٣]. وظهر اتجاه علمي لدراسة القرآن الكريم وشخصيته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) واللغة العربية. وأهم بداياتها تمثلت يوحنا يعقوب رايسكه (١٧١٦-١٧٧٤)[٤]. ورايسكه ذو أثر كبير في تاريخ حركة الاستشراق الألماني، وربما الأوربي، فهو مؤسسُ اتجاهه العلمي، ومؤصلُ تقاليده العريقة، إذ كانت العربية إلى عصرهِ تُدرس لتفسير نصوص الكتاب المقدس – بعهديه–[٥]،فجعل دراستها علماً مستقلاً في ألمانيا، أي: درس العربية بذاتها ومن أجل ذاتها، وبهذا فهو يرفض أيَّة قراءة لاهوتية للغة العربية.وكان عبقرياً في العربية، تعلمها من دون عون خارجي. ولعلَّ أكثر أعماله أهمية تحقيقه معلقة طرفة بن العبد وترجمته إياها سنة (١٧٤٢) ؛

---

[١] للمزيد ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ٩٤-٩٩.

[*] التنوير Enlightenment: اتجاه اجتماعي سياسي فلسفي، ساد أوربا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ويتميز بفكرة التقدم وعدم الثقة بالتقاليد، والتفاؤل والإيمان بالعقل والدعوة إلى التفكير الذاتي. مدرسة فرانكفورت، توم بوتومور: ١٧٨.

[٢] للمزيد ظ: يوحنا يعقوب رايسكه، د.بيتر بخمان: ٦٥-٦٦،وتاريخ حركة الاستشراق: ١٠١،والمستشرقون الألمان (صلاح الدين): ١٧٩/١،والدراسات العربية في ألمانيا، ألبرت ديتريش: ٨-٩،والدراسات العربية في ألمانيا، د.جيرت كوك: ٢٠٨،وتراث الإسلام: ق ٦٦/١-٦٨،والدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا، د. ميشال جحا: ١٠١،والدراسات العربية (رودي): ١٥-١٧.

[٣] ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ٩٨، ١٠٥، ١٠٦.

[٤] للمزيد عنه ظ: الدراسات القرآنية في ألمانيا: ٧٠-٧١،٧٤، الدراسات العربية (جيرت): ٢٠٨،ورايسكه: ٦٧، ٧١،ونشر التراث العربي ودراسته في ألمانيا د. فايبكه فالتر: ٣٥٣-٣٥٤،والدراسات العربية في ألمانيا (ديتريش): ٩-١٠،وتراث الإسلام: ق٦٧/١ ٤٥،وتاريخ حركة الاستشراق: ١٢٢،١١٠،وتاريخ الاستشراق الألماني، أحمد حسن عبد السلام: ١٩٣-١٩٥،والمستشرقون: ٦٩٢/٢-٦٩٤،والإسلام والمسلمون: ٢٨،والمستشرقون الألمان، صلاح الدين: ٨/١

[٥] ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ١٢٢، رايسكه: ٦٩.

لأثر هذا التحقيق في تحرير نصوص العربية من تبعية مقيتة لسواها،فلم يشر رايسكه في تحقيقه إلى استعمال العربية وسيلةً لشرح الكتاب المقدس،فضاق المستشرقون بتحقيق نصوص العربية وتراثها لذاتها. وبتحقيقه معلقة طرفة قد حرر الاستشراق "من الأغلال التي غلّلها بها اللاهوتيون شـ ّراح الكتاب المقدس. وحدد رايسكه موضوع علمه، وهو اللغة العربية والأدب العربي وتاريخ البلدان العربية لا غير"[١]. فرفع من "منزلة فقه اللغة العربية إلى مصاف علم مستقل"[٢]. من العربية، والإسلام والنبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حاربه رجال اللاهوت. ويقول بيتر بخمان: "كان رايسكه يدافع عن شرف الإسلام وعن صدق النبي محمد واكتسب بمديحه فضائل الثقافة العربية والإسلامية، بغضاء اللاهوتيين من أساتذة جامعة لايبزغ"[٣]. فأُبعد عن التدريس بالجامعة، ولم تسهل طباعة كتبه، ولم يسمح له بإلقاء محاضرات على الطلاب[٤].

وقد يكون مستغرباً أن يعيش رايسكه عصر التنوير، ويلاقي محاربة وبغضاً، ولكن على الرغم من الانتشار الواسع لحركة التنوير، بقيت حتى عصره تشكو قلة الأنصار وكثرة الأعداء[٥]، وربما كانت نخبوية في أول أمرها ولا يُعدم القرن الثامن عشر الميلادي في ألمانيا من مستشرقين، ولكن تبقى إسهامات رايسكه هي الأبرز لما تركته من أثرٍ، ولأنها حلقة وصل ربطت بين بدايات الاستشراق الألماني وتطّوره.

وقد أُعجِب برايسكه ومؤلفاته عميدُ الاستشراق الأوربي: الفرنسي سلفستر دوساسي (١٧٥٨-١٨٣٨)، وتلميذه الألماني فلايشر، وصارت جامعة لايبزغ تنظر إلى رايسكه على أنه والدها الروحي ومؤسسها[٦]. وفي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي تعزز شعار "تخليص الاستشراق من قبضة اللاهوت"[٧] في ألمانيا، ولعل سببه "ضعف تأثير الدين في الحياة الألمانية بسبب تطور العلم والفلسفة، ونتائج البحث في الكتاب المقدس التي أزالت الأوهام، فضلا عن قوى العلمنة الشديدة"[٨]، وشهدت الدراسات العربية في أوائل القرن التاسع عشر تقدما كبيرا على يد فلايشر (١٨٠١-١٨٨٨)، على نحو ما سيأتي.

التلاقح والتأسيس

---

[١] رايسكه: ٦٩.

[٢] تاريخ حركة الاستشراق: ١٢٢.

[٣] رايسكه: ٦٦.

[٤] ظ: تاريخ الاستشراق الألماني: ١٩٦.

[٥] ظ: رايسكه: ٦٨.

[٦] ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ١٢٣، والإسلام والمسلمون: ٢٨، رايسكه: ٧١.

[٧] تاريخ حركة الاستشراق: ١٠.

[٨] قصة الحضارة: مج٩، ج ١٣/٣.

تسلم القرنُ التاسع عشر الميلادي الاستشراقَ الألماني، وقد خاض صراع الاستقلال. وهو صراع أخرجه من رَحِم الأقاويل والمماحكات الأيدلوجية، وسار في تطوره على خط موازٍ مع نهضة الغرب العلمية[١]. وبحسب التتبع المتواضع للباحث، فإنه يرى أن هناك عوامل مؤثرة في الاستشراق الألماني في هذا القرن، منها:

١. اكتشاف اللغة السنسكريتية (١٧٨٦):

إنّ اكتشاف السنسكريتية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي مثّل تَحولا مهما أّدى إلى تطّور الدراسة اللغوية. إذ عُني قبل اكتشافها بدراسة فقه اللغتين: اللاتينية واليونانية، وبعد ذلك نشأت شيئاً فشيئاً طريقة المقارنة العلمية بين اللغات[٢]، فأخذت لغات الشرق مكانة في البحث اللغوي في أوربا. وفي ألمانيا أخذ علماء اللغة في جامعاتها يطّورون الدراسات المقارنة بإطار تاريخي[٣].

٢. اتجاهات علم اللغة في ألمانيا:

ورث علُم اللغة في ألمانيا في القرن التاسع عشر الميلادي من القرن الثامن عشر الميلادي اهتماما بإنماء الدراسات اللغوية المقارنة والتاريخية[٤]. حتى صارت- فيما بعد- هذه الدراسات مقصورة على الألمان[٥].وقد أثّر اللغوي الألماني فرانز بوب- تلميذ المستشرق الفرنسي: دوساسي- في أفكار المستشرقين الألمان[٦]. ولاسيما أن مفاهيم علم اللغة والاستشراق اللغوي واحدة[٧]. وظهر اتجاهان في دراسة اللغة بألمانيا أثرا على المستشرق الألماني، هما:

أ. <u>الاتجاه الفيلولوجي</u>:

في ضوئهُ بِرِبط بين اللغة وجنس المتكلمين بها، وبِ ُحِثت العلاقة بين الأمة ولغتها، فظهرت تفسيرات قومية لظواهر لغوية[٨]؛ ولذلك أكد همبولت (١٧٦٧-١٨٣٥) على اللغة

---

[١] ظ: أثر الاستشراق: ٧٤، ٧٥.

[٢] ظ: المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب: ١٨١، ومدخل إلى علم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح: ٩.

[٣] ظ: موجز تاريخ علم اللغة: ٢٢٦.

[٤] ظ: م . ن : ٢٢٦، وفقه اللغات السامية (مقدمة المترجم: ٥-٦).

[٥] ظ: مدخل إلى علم اللسان: ٢١.

[٦] ظ: وضع الاستشراق المختص بالإسلاميات، مكسيم رودنسون: ٩٠ ضمن كتاب (الاستشراق بين دعاته ومعارضيه).

[٧] ظ: فقه اللغات السامية: ١٠.

[٨] ظ: موجز تاريخ علم اللغة: ٢٨١.

بوصفها "خاصية مميزة للأمة أو الجماعة التي تتكلمها"[١]. وليس ببعيد أن ينبثق فهم (الفيلولوجيا/ فقه اللغة) على أنه معرفة لحضارة الأمة بنشر نصوصها ثم دراستها.

ب. <u>الاتجاه العلمي</u>:

تأثر هذا الاتجاه بألمانيا بجهود شلايشر (١٨٢١-١٨٦٨) ودعوته لتطويع العلوم الطبيعية ومناهجها في خدمة علم اللغة وتفسير التغير بقوانين واضحة، متأثراً بالترجمة الألمانية لكتاب (أصل الأنواع) لدارون[٢].

وتعزز هذا الاتجاه بنشر (النحاة الجدد) نظريتهم عام (١٨٧٨) في لايبزغ- معقل الاستشراق الألماني- فأرادوا منها "تأسيس عملهم في علم اللغة التاريخي- المقارن في إطار العلوم الطبيعية"[٣]. وأهم ميدانين لهم: علم الأصوات وعلم اللهجات. وينتمي نولدكه وبروكلمان- في مجال علم اللغات السامية- إلى مدرسة (النحاة الجدد)[٤].

٣. أثر المستشرق الفرنسي دوساسي:

شهدت دراسة اللغات الشرقية، ومنها اللغة العربية تطوراً في أوربا في القرن الثامن عشر. وفي القرن التاسع عشر حدثت الانطلاقة الكبرى في البحث اللغوي، إذ "كانت مدرسةُ اللغات الشرقية الحية التي أسست في باريس (١٧٩٥)، وجهة المتخصصين في اللغة العربية، وأدّى استقلال الدراسات العربية إلى بثّ روح جديدة فيها، فألف سلفستر دوساسي سنة (١٨١٠) كتابه (النحو العربي). واتجه تلاميذه بعزيمة ونشاط إلى المخطوطات العربية وحققوا عدداً كبيراً منها، كما أنصرف بعضهم إلى إعداد المعاجم، نذكر منهم فريتاج وفلوجل، وفي نفس الوقت كان المنهج المقارن في البحث اللغوي يتبلور ويتقدم تقدماً رائعاً "[٥]. ولا تكمن أهمية دوساسي (١٧٥٨-١٨٣٨) بأثره في تدريسه أوائل المستشرقين الألمان وأكثرهم فعالية، مثل: فلايشر وإيفالد وفريتاج وفلوجل، ولكن بشيئين آخرين، لا يقلان عنه أهميةً :

<u>أحدهما</u>: توجيه طلابه، وأكثرهم من ألمانيا[٦] إلى تحقيق المخطوطات العربية وإعداد المعاجم، لتكون عدّتهم المعرفيةُ معتمدة على أسس صحيحة، من الإطلاع على التراث العربي، بنصوصه، من غير وسيط يتمثل بالمنتخبات.

---

[١] موجز تاريخ علم اللغة: ٢٨٦.

[٢] ظ: م. ن: ٢٩٤.

[٣] م. ن: ٢٩٧.

[٤] ظ: علم اللغة العربية: ١٢٩.

[٥] البحث اللغوي، د. محمود فهمي حجازي: ٩٠، ظ: اتجاهات المستشرقين في دراسة الحياة اللغوية في العالم العربي الحديث: ٦٧.

[٦] ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ١٤٧، ١٤٩، ١٥١.

والآخر: كونه حلقة الوصل بين علم اللغة بمنهجه المقارن، والاستشراق اللغوي بوجهته الفيلولوجية، يؤكد ذلك أنه درّس مستشرقين ألمان وتتلمذ عنده علماء لغةٍ ألمان، مثل: شليجل والاخوين جريم وهمبولت، ومؤسس اللغويات المقارنة فرانز بوب[١]. ويرى الباحث لفلايشر (١٨٠١-١٨٨٨) أهمية خاصة في تاريخ الاستشراق الألماني لأسباب هي:

١. اهتماماته بفقه اللغة، وهي سمة طبعت فيما بعد الاستشراق الألماني عموماً، سواء أكانت تأثراً بأستاذه دو ساسي[٢]، أم بأبحاث فقه اللغة في المدرسة الألمانية.
٢. تأثيرُالعلمي المباشر وغير المباشر في أهم المستشرقين الألمان من بعده، مثل: أوغست فيشر، وبروكلمان وبرجشتراسر وشاده وغيرهم، ولحصول جامعة لايبزغ بفضل تدريسه ومكانته وأعماله على المركز الطليعي في الدراسات العربية[٣]، فأصبحت محطة بارزة في الاستشراق الألماني. ولا ننسى دوره في تنظيم المستشرقين الألمان في أول جمعية لهم عام ١٨٤٥[٤]. ويجب ألاّ يغيب عنا دور مستشرقين ألمان من الطراز الأول، عاصروا فلايشر، وكانوا تلامذة لدوساسي أيضاً، وأبرزهم:

١. إيفالد (١٨٠٢-١٨٧٥):

عُدَّ مع فلايشر من مؤسسي الدراسات العربية في ألمانيا، ولكنه وجّهها وجهة تاريخية[٥].

٢. فريتاج (١٧٨٨-١٨٦١):

لعل أهم أعماله معجمه (العربي- اللاتيني)، الذي مازال موضع إفادة[٦].

٣. فلوجيل (١٨٠٢-١٨٧٠):

أشهر أعماله: تحقيق (كشف الظنون) و(التعريفات)، وتأليفه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن)، وهو أول معجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم في اللغة العربية[٧]. ومن أعماله الرائدة أنه

---

[١] ظ: مدخل إلى علم اللسان: ٩.

[٢] ظ: تراث الإسلام: ق١/٧٥.

[٣] ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ١٧١، وعن أهمية أعماله ومكانته ظ: الدراسات العربية (ديتريش): ١١.

[٤] ظ: الدراسات العربية (رودي): ١٩، والمستشرقون: ٢/٧٠٦-٧٠٧، ٦٨٧-٦٨٨ ،وتاريخ حركة الاستشراق: ١٧١-١٧٤، وتراث الإسلام: ق١/٧٧، والمستشرقون الألمان (د. رضوان): ١٥.

[٥] ظ: المستشرقون: ٢/ ٦٧٩، وتاريخ حركة الاستشراق: ١٦٧.

[٦] المستشرقون: ٢/٦٧٨، وتاريخ حركة الاستشراق: ١٦٦.

[٧] ظ: المستشرقون: ٢/٧٠١-٧٠٢،والإسلام والمسلمون: ٣١ ،والمستشرقون الألمان (د. رضوان): ١٥.

صاحب أول كتاب في مدارس العرب النحوية نشره عام (١٨٦٢)[١]، خلافاً لما هو سائد بين الدارسين المحدثين[٢] بأنه (جوتولد فايل) المولود بين عام (١٨٨٣) و(١٨٨٨)[٣].

تطور دراساتهم

لم يكن الاستشراق الألماني ليتطور فجأة، بل بدأب رجالاته على تطوير دراساتهم وتنويع مصادرهم كالمخطوطات والآثار والوثائق والبرديات، وبتراكم البحوث أيضاً . وأهمية منتصف القرن التاسع عشر من عمر الاستشراق الألماني ترجع إلى عاملين:

الأول: خصب دراسات هذه المرحلة ووضوح صفتها العلمية[٤].

الثاني: ازدهار الدراسات اللغوية وتناميها السريع.

ومما سعّر في تطّور الاستشراق حينها، ما شهدته أوربا ولاسيما ألمانيا ، الثورتين: المعرفية، والصناعية[٥]، وكذلك انفصال الاستشراق الألماني شبه التام عن اللاهوت[٦]. وتطلّب تطوره أيضاً ترك الآراء المسبقة والاعتراف بمكانة الشرق لرسم صورة موضوعية له. وغدت في حكم المتعارف عليه الصفة الموضوعية في دراسات الاستشراق الألماني في اللغة العربية. ولهذه الصفة يُعزى بقاء المستشرقين الألمان العاملين "في الصعيد اللغوي بمنأى عن هجوم الرأي العام العربي والإسلامي..."[٧]، ومن هنا "بدا الطريق اللغوي الوسيلة الأنجع للتحرر من مقولات اللاهوتيين حول الإسلام..."[٨]. وفيما يأتي أهمُّ محطات تطّور دراساتهم .

أولا: العوامل المؤثرة

أ. العوامل الفكرية[٩]:

وأبرزها: الحركة الرومانسية والاتجاه التاريخي في ألمانيا والفيلولوجيا الألمانية.

---

[١] ظ: المستشرقون: ٧٠١/٢.

[٢] ظ: المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي: ١٥.

[٣] ظ: المستشرقون: ٧٩١/٢-٧٩٤.

[٤] ظ: الدراسات العربية، (رودي): ١٧.

[٥] ظ: الاستشراق، د. محمد الدعمي: ٥٣، والاستشراق، إدوارد سعيد: ٥٢.

[٦] ظ: الدراسات القرآنية في ألمانيا: ٧٠.

[٧] الدراسات العربية، (رودي): ١٧، ظ: تاريخ القرآن، نولدكه، (مقدمة الطبعة العربية: XV).

[٨] المستشرقون الألمان، د. رضوان: ١٣.

[٩] ظ: حالة الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط، بيرنارد لويس، ضمن كتاب (الاستشراق بين دعاته ومعارضيه): ١٣٧،والدراسات العربية (رودي): ١٦-١٧،والمستشرقون: ٦٩٩/٢، المستشرقون الألمان (د. رضوان): ١٣،وتاريخ حركة الاستشراق: ١٤،وتاريخ القرآن (نولدكه) (مقدمة الترجمة العربية: X).

ب. العوامل الفنية[١]:

وأهمها تعاظم أعداد المخطوطات العربية والإسلامية في ألمانيا، وتقدّم وسائل النقل، والحاجة إلى مترجمين يتقنون لغات الشرق.

وقد أدت العوامل الفكرية والفنية إلى تقدم كبير في دراسة العربية، وإنشاء معاهد وكليات متخصصة فيها. وبنهاية القرن التاسع عشر الميلادي ولازدياد تحقيق المخطوطات العربية، صار المستشرقون الألمان يرجعون إلى التراث اللغوي العربي عبر مصادرِه الأصول، غير مكتفين بالمختارات والمنتخبات والترجمة عن لغة وسيطة؛ فانتظمت "دراستهم في علم اللغة عند العرب"[٢]، بل ترجم جوستاف يان (١٨٣٧-١٩١٧) إلى الألمانية: (كتاب سيبويه بشرح السيرافي)، و(شرح المفصل لابن يعيش)[٣].

ثانياً: أهم المستشرقين

وإذا ما طاب للباحث أن يتصّور الاستشراق الألماني بأكثر رجالاته تمّيزاً، في حلقات متصلة، فإنها ستكون كالآتي:

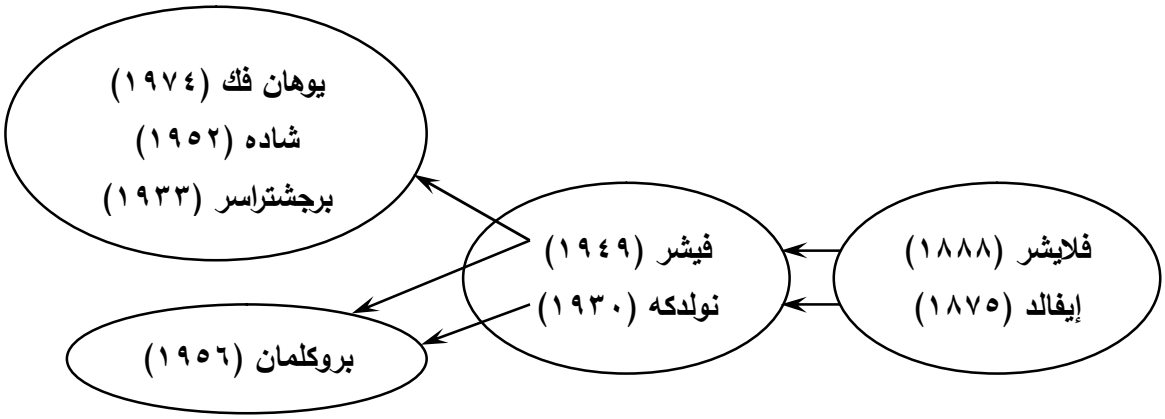

أي إنّنا قد وصلنا بتتبع الاستشراق الألماني وتطوره إلى الجيل الثاني ممثلاً بأبرز رجالاته: نولدكه وفيشر يُعدُّ نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠) نقطة تحّول في الاستشراق الألماني،

---

[١] ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ٥٥، والمستشرقون: ٦٧٨/٢، ٦٨١، ٦٨٣،ومناهج المستشرقين: ٤١،وجهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي، د. عباس محمد حسن: ٦١-٦٦، وحالة الدراسات: ١٣١،وتراث الإسلام: ق٨٦/١،والمستشرقون الألمان (د. رضوان): ٣٠،واتجاهات المستشرقين، د. محمود فهمي حجازي: ٦٨.

[٢] تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج٨، ج٨/١.

[٣] عن جهودهم في ترجمة التراث العربي إلى الألمانية، ظ: دور الترجمة في التقريب بين الثقافة العربية والثقافة الألمانية، د. محمود فهمي حجازي، ضمن كتاب (الحوار العربي الألماني): ١٣٣، ١٣٨، والدراسات العربية في ألمانيا (ديتريش): ١٣-١٤، والبحث اللغوي: ٩٢-٩٣.

إذ وصف بأنه "أعظم مستشرقي عصره الألمان"[١].ويراه الباحث متوسعاً في دراسة العربية ونصوصها باتجاهين:

- عمودي: بما عُرف عنه من ترتيب تاريخي في كتابه (تاريخ القرآن)، فقد عالج (نشوء القرآن وجمعه وترتيب سوره بمنهج تاريخي. وكذلك كتابه (اللغات السامية)، الذي عرض فيه هذه اللغات عرضاً تاريخياً مع مقارنات ليست بكثيرة للعربية مع أخواتها الساميات.[*]
- أفقي: أو بمنهج وصفي–متأثراً بالألمانية وغيرها–، فأعاد وصف العربية من جديد، كما في دراساته غير المترجمة[٢]. لمّا تُوفّي سنة (١٩٣٠م) فقَد الاستشراق الألماني التقليدي ذو التاريخانية المعروفة، أهم رجالاته.

أما معاصره أوغست فيشر(١٨٦٥–١٩٤٩م)، فهو أهم المستشرقين في لايبزغ بعد فلايشر، وتميّز بمكانة رصينة لأسباب منها:

١. وراثته التحليل الفيلولوجي للعربية من تقاليد أستاذه فلايشر، أساساً لا غنى عنه للتعامل مع النصوص العربية[٣].
٢. حضوره العربي، الذي تمثّل بمعجمه التاريخي، وعضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة.
٣. تلمذة أهم المستشرقين الألمان عنده، منهم: بروكلمان وبرجشتراسر وشاده ويوهان فك وأنطوان شبيتالر وغيرهم[٤].

ثالثا: أبرز الأعمال واتجاهاتها[٥]

١. ازدياد تحقيق مخطوطات التراث العربي، ونيل الدرجات العلمية فيها، وإلقاء المحاضرات في تحقيقها.
٢. ظهور الاهتمام ، فيما بعد ، باللهجات العربية الحديثة (العامية)، من خلال تقعيدها أو عمل أطالس لغوية لها.
٣. تطور الدراسات السامية المقارنة.
٤. صنع الفهارس (البيلوغرافيات) للمطبوع والمخطوط من التراث العربي.

---

[١] تاريخ حركة الاستشراق: ٢٢٥.

[*] هذا مايعتقده نولدكه ، أمّا المسلمون فيؤمنون بالقرآن الكريم تنزيلا من ربّ العالمين .

[٢] للمزيد عنها ظ: المستشرقون: ٢/٧٣٨–٧٤٠. وكان الدكتور رمضان عبد التواب ينوي ترجمة كتاب نولدكه (العربية الفصحى).

[٣] ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ٣٢٥.

[٤] للإطلاع ظ: م. ن: ٣٢٥–٣٢٦، والمستشرقون: ٢/٧٧١–٧٧٢.

[٥] ظ:المستشـــــرقون :٢/٧٠٥–٧٠٦، ٧٠٩، ٧١٤، ٧١٩، ٧٢٤، ٧٣٧، ٧٤١، ٧٤٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٩٢–٨١٠، تـاريخ حركـة الاستشـراق:٢٥١–٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦، والمـدخل إلـى علـم اللغـة : ١٤٧–١٤٨، ١٥٨–١٦٤.

٥. الإسهام في الدراسات اللغوية في العالم العربي من خلال الانتداب للتدريس في الجامعة المصرية آنذاك، أو التعيين في المجامع اللغوية العربية.
٦. التميَّز ببعض الاهتمامات، كالاهتمام بالدراسة التاريخية للعربية كلماتٍ وأساليب، أو الاهتمام بالدراسات الصوتية عند العرب أو القراءات القرآنية.

مظاهر التطور

لم يزل الاستشراق الألماني مهتماً بالدراسات الأدبية واللغوية حتى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين [١]. وبدأت السياسة الألمانية تؤثر في تطّور هذا الاستشراق، وهو تطورٌ مسَّ أدواته وموضوعاته. وإذا ما أراد الباحث عرض أهم مظاهر تطّورِه، فإنّه سيُقسّمها – مبتكراً – على:

١. تطور في أدوات البحث:

وذلك بزيادة رحلات الألمان إلى الشرق، إمّا للكشف عن الآثار والحفائر والنقوش القديمة؛ لدراسة حضاراته [٢]، وإمّا بإرسال الرحلات البحثية، لدراسة مجتمعاته. ومن أدوات البحث الأخرى إنشاء فروع لمعاهد استشراقية ألمانية في عواصم عربية في ستينيات القرن العشرين[٣].

٢. تطور في الموضوعات:

ساعد على هذا التطور ظهور حاجة لتخصصات جديدة تتطلبها العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية وغيرها، وحاجة الرأي العام الألماني لمعرفة صورة صحيحة عن الشرق الحديث[٤]، وكلا هذين الأمرين هدفا لتعميق الفهم الألماني بالشرق وبالعالم الإسلامي. ورسّخ هذا التطور نزعةٌ إلى التخصص الدقيق سادت الاستشراق ومختلف الأوساط العلمية.

ويجب التنبيه على أنه في النصف الثاني من القرن العشرين انفصلت الدراسات الإسلامية للاستشراق الألماني عن فقه اللغة العربية[٥]، "وهذا الفصل قد أضرّ بالدراسات الإسلامية حيث إنه لا يمكن التعمق في الدراسات الإسلامية بدون معرفة اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية"[٦]، فالدراسة المعمقة للعربية تعد شرطا لأي عمل استشراقي رصين. وانطوت بوفاة

---

[١] ظ: تطور الاستشراق، د.عبد الجبار ناجي: ٤٦.
[٢] ظ: المساهمة الألمانية، ليتمان، ضمن كتاب (الاستشراق الألماني): ٤١-٤٩، وللمزيد ظ: ٦٧-٧٢، (مقدمة المترجم: ١٢).
[٣] ظ: المستشرقون الألمان (د. رضوان): ٨١، والدراسات العربية (د. ميشال): ١١٠، والمستشرقون: ٦٨٧/٢-٦٨٨.
[٤] ظ: نشر التراث العربي: ٣٥٤، والاستشراق الألماني في السبعينيات: ١٠٨.
[٥] ظ: الدراسات العربية (رودي): ٣١-٣٣، ٧٩-٨١، والمستشرقون: ٧٤٥/١-٧٤٦.
[٦] الاستشراق الألماني، هويدي (مقدمة المترجم: ١٢)، وظ: المساهمة الألمانية: ٣٦.

بروكلمان سنة (١٩٥٦) مرحلة ذهبية للاستشراق الألماني، إذ عدل هذا الاستشراق من الموسوعية والتنوع إلى التخصص. وانتهى عدم اكتراثه بحاضر العالمين العربي والإسلامي وشؤونهما. ولكن هذا لا يعني أنَّ المستشرقين الألمان انقطعوا نهائيا عن مجاراة التيار الكلاسيكي في أبحاث فقه اللغة والمقارنات السامية ،ولا سيما مع مستشرقين أمثال :هلموت ريتر وفلايش همر. والأدق أن يقال :إن الاستشراق الألماني ما انصرف عن تقاليدهِ البحثية وموضوعاته التي يـُؤثرها،البتة، ولكنه خصَّص لها مساحة أقل من قبلُ .

وأثّر تطور الاستشراق الألماني، في دراسة اللغة العربية؛ لأن رجاله المعاصرين أخذوا يبتعدون عن العربية الفصحى، أو التراثية أو الكلاسيكية بحسب ما يسّمونها لأسباب هي [١]:

١. إن الاحتكاك المباشر مع الشعوب العربية، أظهر حاجة للتواصل معها بلغة عربية، (معاصرة) أو (عامية).

٢. كان المستشرقون الألمان التقليديون متأثرين بالدرس اللغوي العربي، ثّم بدأ التخفف من تأثيره؛ لظهور الجانب التعليمي في تأليفاتهم في النحو العربي، حتى صارت العربية عند المعاصرين تـُقعَّد "على أساس النظرية الغربية التقليدية ذات الأصل اليوناني"[٢]، في العرض والوصف. وبدت دراسة العربية تعوزها الدقة، وغريبة عّما اعتاد عليه المستشرقون الألمان في وصف لغتهم الألمانية[٣].ويرى الباحث منشأ الغرابة ، أنهم درسوا العربية من خلال وسيط لغوي، ولم يتقنوها مثل الجيل الذي سبقهم. وأخذ التخفف من تأثير التراث اللغوي العربي، والاستغناء عن بعض أحكام نحاة العربية أو تقسيماتهم يأخذ شكلاً من التدرج التاريخي..."[٤].وبحسب ما تقّدم، يمكن عقد مقارنة بين الجيلين لبيان أهم الفوارق:

الاستشراق الألماني التقليدي	الاستشراق الألماني المعاصر
١. .رس الفصحى وعرضها متأثراً بمصادر التراث اللغوي العربي.	١. وصف العربية وعرضها متأثراً بالنظرية اللغوية الغربية.
٢. اهتم بالفصحى واللهجات العربية القديمة ونصوصهما، وقارنهما باللغات السامية.	٢. اهتم بالفصحى المعاصرة (المكتوبة)، والعاميات المعاصرة (المنطوقة).

وبذلك ظهرت فروق تمّيز الاستشراق الألماني المعاصر بها،تتمثّل ببروز التخصص الدقيق (في المجال المعرفي أو البلد المدروس)، وبرجوع المستشرق في دراسته العربية من خلال وسيط، واهتمامه بالموضوعات المعاصرة.

---

[١] ظ: بحوث في الاستشراق واللغة ، د.إسماعيل أحمد عمايرة: ٢٩٤-٢٩٥، ٣١٨-٣١٩.

[٢] م. ن: ٢٩٥.

[٣] ظ: م. ن: ٣١٣.

[٤] م. ن.

خصائص دراساتهم

قَدَّم المستشرقون الألمان جهوداً طيبة وإسهامات كثيرة في الدراسات العربية والإسلامية، ولعلهم أكثر مستشرقي أوربا إنتاجا. إن نظرة واحدة متفحصة في إحدى البيلوغرافيات،تُظهِر أن تأليفهم هو خمس تأليف أقرانهم الأوربيين مجتمعين، وتحقيقاتهم تبلغ الثلث[١].

ولقد كُتب عن خصائص دراسات المستشرقين الألمان،ولكن كانت تُسرد من غير تبويب ينتظمها. وبعد إمعان النظر ارتأى الباحث أن يُقسمها على:

أولا: خصائص المنهج

١. المنهج العلمي:

امتازت دراساتهم في الغالب بالدقة والنزاهة وعدم التعصب والموضوعية[٢]، أي: اتّسمت بخصائص المنهج العلمي ، وانصرفت إلى أهداف علمية . وقد ردَّ باحث هذه الصفات العلمية للبحث في ألمانيا لما "للذهنية الألمانية من ولوع بالبحث، وتقصّي جوانب هامة وصعبة من جوانب حضارة البشر"[٣]. إن امتياز الاستشراق الألماني بالمنهج العلمي الدقيق صيَّر الوجهة المهمة في أعماله إلى الوجهتين : الأدبية واللغوية،تحقيقاً وتأليفاً وترجمة، وخلاف الأمر، صحيحٌ أيضا.

٢. التراكم المعرفي:

تعدّ دراساتهم سلسلة من حلقات متصلة، إذ يبني اللاحق منهم منجزه على الجهود السابقة، فكل مستشرق ألماني " يبني على أساس من نتائج بحوث سلفه، يتبناها تارة، وتارة يكملها ويحسنها..."[٤]، وصار "علم الاستشراق كما هو بين أيدينا نتيجة نشاط أجيال عديدة من العلماء"[٥]. وليس ببعيد أنّ هذا التراكم المعرفي، والعلمي، من أسباب تطوّر الاستشراق الألماني تطوراً ملموساً . وقد جمع الباحث من قراءاته، أمثلة عدّة للتراكم المعرفي، وبوَّبها على النحوالآتي:

أ. حقل الفهرسة:

---

[١] ظ: الجهود اللغوية في القرن الرابع عشر الهجري، د. عفيف عبد الرحمن: ٤٢١-٤٦١، ٤٠٧-٤١٩.

[٢] للمزيد ظ: الاستشراق الألماني (د. ميشال):٢٥٧، والاستشراق الألماني، د. هويدي (تقديم د. زقزوق: ٣)، الدراسات العربية (د. ميشال): ١٠١، والمستشرقون الألمان (صلاح الدين): ١/٧-١٢، والإسلام والمسلمون: ٧٨-٧٩.

[٣] كارل بروكلمان (علي شلق): ٢٢٦.

[٤] الدراسات العربية (رودي): ٩.

[٥] م. ن.

لقد ساد جامعات ألمانيا في القرن التاسع عشر الميلادي ميل للفهرسة، وتصنيف كشافات للعلوم والفنون مرتبة بدقة[١]. وتعزّز هذا الميل بازدياد دراسات المستشرقين الألمان وتطورها. وأبرز صوره (تاريخ الأدب العربي) لكارل بروكلمان فهو "عمل مرجعي لا يستغنى عنه باحث"[٢]، ومن ثّم واصل فؤاد سزكين[*] بتأليفه (تاريخ التراث العربي)، فزاد وجدَّد واستدرك[٣]. ولم يتوقف حقل الفهرسة حديثاً فواصل المستشرق رينهارد فيبرت التأليف بكتابه (الطبعات المهمة من كتب التراث العربي في اللغة والشعر العربيين من ١٩٦٠-٢٠٠٠م)[٤].

ب. حقل الرصد التاريخي:

حين أرّخ بروكلمان لمسيرة الاستشراق الألماني[٥]، فإنّه قد مارس تقليداً لهذا الاستشراق يتمثل بكثرة الدراسات التي يكتبها المستشرقون الألمان، التي توضّح تطوّره التاريخي[٦]. ومن أهم هذهِ الدراسات على سبيل المثال لا الحصر:

١. تاريخ حركة الاستشراق: يوهان فك.
٢. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية: رودي بارت.
٣. الدراسات العربية في ألمانيا، تطورها التاريخي، ووضعها الحالي: ألبرت ديتريش.

واقتُصِر على حقلي الفهرسة ، والرصد التاريخي،وتُرِكت بعض المجالات، مثل الحقل المعجمي، والدراسات القرآنية، والتحقيق، والترجمة، خشية الإطالة.

٣. التخصص:

تتخصص بعض الجامعات الألمانية بموضوعات معينة، أو يغلب طابع ما أو اتجاه محدّد،فيُركّز عليه[٧]؛ لذا نرى أنّ "الطابع اللغوي يغلب على اتجاهات كل من معاهد جامعة: ارلنغن وتوينغن وكولن ولايبزغ"[٨]. وتختص جامعات أخرى بالاتجاهات التاريخية أو بالفلسفة الإسلامية والدراسات الدينية التقليدية[٩]. كما يتخصص أجيال من المستشرقين الألمان

---

[١] ظ: المدخل إلى الدراسات التاريخية، أنجلو اوسينوبوس، ضمن كتاب (النقد التاريخي): ٢٤١-٢٤٢.

[٢] تاريخ الأدب العربي، بروكلمان حياته وأعماله د. محمود فهمي حجازي: ق ١، ٢٩/١، وظ: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ،د.رمضان عبد التواب: ٦٠-٦٣، والدراسات العربية، رودي: ٦٣، والبحث اللغوي: ٩١-٩٢، والدراسات العربية في ألمانيا (ديتريش): ٢٥.

[*] مستشرق ألماني في أصل تركي.

[٣] ظ: تاريخ التراث العربي: مج ١، ج٧/١، ١١.

[٤] ظ:ويبقى الاستعراب الألماني معلماً ، د. محمد حسين الأعرجي: ١٥٦-١٥٧.

[٥] ظ: المنتقى من دراسات المستشرقين، صلاح الدين المنجد: ٣٣/١، والمستشرقون: ٧٨١/٢.

[٦] ظ: الاستشراق الألماني (هويدي) (مقدمة المترجم: ٩).

[٧] للمزيد ظ: نشر التراث العربي: ٣٥٥-٣٥٧.

[٨] الاستشراق الألماني إلى أين؟: ١٣٩.

[٩] ظ: م. ن.

بموضوعات معينة، مثل[١]: نشر مخطوطات الفرق الدينية ،أو دراسة تاريخ بعض القوميات الإسلامية كالفرس والأتراك، أو الاهتمام بتاريخ العلوم عند العرب ، وتحقيق مخطوطاتها.

٤. المؤسساتية:

ولانَّ "المستشرقين الألمان منظمون"[٢]، فقد أسَّس أوائلهم (الجمعية الشرقية الألمانية) سنة (١٨٤٥) في لايبزغ و قبلها المكتبات[٣]، فراحتا تصدران الدوريات العلمية الرصينة، وتحققان التراث العربي، وتقيمان مؤتمرات المستشرقين الألمان، وترسلان الشباب منهم للإقامة في الشرق ومتابعة دراساتهم[٤].

ثانيا: خصائص التأليف في الموضوعات

إن من أهم ما تميَّز المستشرقون الألمان بدراسته: فقه اللغة- بالمنظور الغربي- ، واللهجات، والمعاجم

١. فقه اللغة:

إنّ كثيراً من مؤرخي الاستشراق ودارسيه، يعرفونه بأّنه "علم يختص بفقه اللغة خاصة"[٥]. وهو بهذهِ الاهتمامات يعيش تاريخ اللغة العربية وعصرها الذهبي. ووظّف المستشرقون الألمان التقنيات الفيلولوجية التي كانت تصحح النصوص وتشرحها وتنشرها محققة وطبقوها على العربية[٦]، في سعي منهم لاستكشاف الحضارتين العربية والإسلامية من خلال النصوص التي أنتجتهما[٧].

٢. المعجم العربي:

ترجع الأغراض الأولى للتأليف في المعجم العربي إلى حاجة تعليمية- تبشيرية، تتمثل بالرغبة في معرفة مفردات عربية[٨]. ثّمتطور التأليف المعجمي عند المستشرقين الألمان منقسماً على قسمين: أولهما، نظري، أي: التأليف في المعجمية العربية : نشأتها، ومدارسها، وتاريخها،

---

[١] ظ: تطور الاستشراق: ٤١، ٥٨، ٦٧-٦٩، ٧٧، وجهود المستشرقين في تحقيق التراث: ١٠٧-١١٠، ١١٧-١٢٧، ١٢٩-١٣٠، ١٦٤-١٩١، والدراسات العربية في ألمانيا (ديتريش): ٢٣-٢٤.

[٢] الدراسات العربية، رودي: ١٠٤.

[٣] ظ: م. ن، المستشرقون: ٢/٦٨١-٦٨٦، ٦٨٧.

[٤] للمزيد ظ: المستشرقون الألمان (صلاح الدين): ١٢/١، وصورة الاستشراق الألماني: ٣٣٧-٣٤١. والدراسات العربية (رودي): ١٠٣-١٠٦، والإسلام والمسلمون: ٩٠-١٠١.

[٥] الدراسات العربية (رودي): ١١، وتاريخ حركة الاستشراق (مقدمة المترجم: ٩).

[٦] ظ: حالة الدراسات: ١٣٤.

[٧] ظ: تاريخ القرآن، (نولدكه) (مقدمة الترجمة العربية: X).

[٨] ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ٢١.

وأصالتها[1]. وثانيهما، تطبيقي، أي: تأليف معاجم عربية، على وفق عدة مناهج لغوية. ولعل جديدَ التأليف المعجمي في العربية عند المستشرقين الألمان، يتضمن ما يأتي[2]:

١. فهرسة النصوص معجمياً مثل: (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) لفلوجل.
٢. التأصيل المقارن للألفاظ المعربة مثل: (الألفاظ الآرامية في القرآن) لفرينكل.
٣. فكرة المعجم التاريخي، مثل (المعجم اللغوي التاريخي) لأوغست فيشر.
٤. المعجم الوصفي لمرحلة معينة مثل (معجم العربية المعاصرة) لهانز فير.
٥. المعجم الإحصائي ذو الحقل الدلالي الواحد، مثل (معجم الألوان في الشعر العربي) لـ: ف. فيشر.
٦. تأليف معاجم اللهجات العربية الحديثة (العامية).

٣. اللهجات العربية:

وتطورت دراسة اللهجات العربية الحديثة (العامية) على أيدي المستشرقين عامّتهم، لأسباب فكرية كالتغريب اللغوي بالدعوة إلى هجر الفصحى وإحلال (العامية) مكانها، أو لغوية، وهي بشقين[3]:

أ. تعليمية، بسبب الازدواجية اللغوية في مجتمعاتنا.
ب. علمية، لتحديد الظواهر الأساسية في الاختلاف اللهجي والتنوع اللغوي متوسلة بعدّة مناهج لغوية، وأبرز وسائلها: الأطلس اللغوي.

والمستشرقون الألمان باهتمامهم في دراسة اللهجات العربية الحديثة ليسوا بدعاً من علماء اللغة في أوربا الذين صاروا منذ عصر النهضة بتأثير الرومانسية يعنون بدراسة اللهجات[4]. ومن أشكال الاهتمام، والتأليف فيها[5]:

الأول: دراسة موضوع محدد فيها كاسم الاستفهام أو الإشارة أو نظام التعريف.
الثاني: التقعيد للهجة كلها.

---

[1] للمزيد ظ: تاريخ التراث العربي: مج٨، ج١/١١-١٢، والدراسات العربية (رودي): ٦١-٦٣، ٩٧-٩٩، والبحث اللغوي: ٩٣-٩٥، والمعجم اللغوي التاريخي، (مقدمة أ.فيشر: ٦، ٢٠-٢١،٣٢).

[2] للمزيد ظ: الدراسات العربية (د. ميشال): ١٠٢، والدراسات العربية (رودي): ٩٧، ٩٩، والمستشرقون: ٧٠١/٢، ٧١٩، وتاريخ حركة الاستشراق: ٢٥١-٢٥٢، ٢٥٤، والإسلام والمسلمون: ٢٩، واتجاهات المستشرقين: ٧١.

[3] ظ: البحث اللغوي: ٩٠، ٩٥-١٠١، واتجاهات المستشرقين: ٦٨-٧٠ ، وموجز تاريخ علم اللغة: ٣٠١، وفي اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس: ١٣، وفي علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين: ١٤٤.

[4] ظ: موجز تاريخ علم اللغة: ١٧٤، ١٧٦، ٣٠١، والبحث اللغوي: ٩٩.

[5] ظ: الدراسات العربية (رودي): ٩٦-٩٧، وتاريخ التراث العربي، مج ٨، ج٢/١، وتاريخ اللغات السامية: ١٩٠، والبحث اللغوي: ٩٦-٩٧، ١٠٠، وقطوف أدبية ،عبد السلام محمد هارون: ٦٦.

الثالث: تأليف معاجم للهجات، بحسب ما ذُكِر قبل قليل.

وينبغي التفريق بين الدعوة إلى الكتابة بالعامية أو إحلالها محل الفصحى، ودراسة العامية، فالأخيرة "نشاط علمي يتصل باللغة، وله أثره في تفهم الفصحى تاريخيا ووصفياً "[١]، والدعوة إلى إحلالها "محل الفصحى لا تمت إلى البحث للغوي بصلة..."[٢]. إنَّ دراسة اللهجات تهدف إلى معرفة الواقع اللغوي بحسب ما هو عليه لا كما ينبغي له أن يكون.

أثر دراساتهم: (البداية والتطور)

لم يقتصر تأثير الاستشراق الألماني على الدراسات اللغوية في العالم العربي فحسب، بل كان مؤسساً مهماً لمدارس استشراقية مثل الروسية[٣] والأمريكية[٤]، ولا يخفى أُثره على مدارس استشراقية عريقة، مثل المدرستين الفرنسية والإنجليزية، ولاسيما في أعمالهما المتأخرة في مطلع القرن العشرين[٥].

وإذا عاد الباحث للعالم العربي، فيلحظ أن الاستشراق الأوربي قد مهَّد ، ببحوثه اللغوية عن العربية، البدايات الأولى والمهمة للتجديد اللغوي، ويرى دارس أنَّ "ملامح التأثر بالمنهج التاريخي– المقارن واضحة عند الطهطاوي"[٦]، ويكاد يكون من أوائل العرب المتأثرين بالمناهج اللغوية لدى الغربيين، ولكن يردّ الباحث عليه بأن المقارنات اللغوية بين العربية والفرنسية التي يعقدها الطهطاوي (١٨٠١–١٨٧٣م)، ويذكرها هذا الدارس نفسه[٧] لا تدخل ضمن المنهج المقارن؛ لانَّ اللغتين كلتيهما ليستا من أسرة واحدة، والمنهج المقارن يدرس لغات الأسرة اللغوية الواحدة، أو لهجاتها. أّما المنهج الذي يدرس لغتين من أسرتين مختلفتين لغرض تعليمي، كما هو واضح من مقارنة الطهطاوي، فهو المنهج التقابلي[٨].

ولعلَّ أوَّل تأثير للاستشراق الألماني في العالم العربي كان سنة ١٨٧٠م، إذ تم الاتفاق بين مصر والسلطات الأوربية على أن يكون عالمٌ ألمانيٌ مديراً المكتبة الخديوية (الكتبخانة) ،

---

[١] فقه اللغة العربية، د. كاصد الزيدي: ٣٨٥.

[٢] اتجاهات المستشرقين: ٦٩.

[٣] ظ: الاستشراق الروسي، د. عبد الرحيم العطاوي: ٧٤، ٧٦، ٨١–٨٤، ٨٥.

[٤] ظ: تطور الاستشراق: ٥١.

[٥] ظ: الفكر الإسلامي، محمد أركون: ٢٦٤.

[٦] اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، د. حافظ إسماعيلي: ٣٥.

[٧] ظ: م. ن: ٣٥–٣٦.

[٨] للمزيد عن المنهج التقابلي ظ: مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي: ٢٦–٢٨.

فكان أول مدير لها (شتيرن) ثّم خلفه (شبيتا) ، و(فولرز) ،و(موريتس)، ثّم (شاده)[١]. وهناك إشاراتٌ لتواصل علماء الشرق مع مؤتمرات المستشرقين[٢]. وفي لبنان[٣]، نجد تأثر جبر ضومط، وإبراهيم اليازجي، وشكيب أرسلان بأبحاث المستشرقين الألمان خاصة، ولاسيما جرجي زيدان، من خلال تأليفه بالمنهجين: المقارن والتاريخي، ومثالهما كتاباه: (الفلسفة اللغوية) ،و(اللغة العربية كائن حي). وتأثّرَ أيضاً بطريقتهم في كتابة الأدب العربي، وأسلوب دراستهم العربية[٤]. ويشير الأب أنستاس ماري الكرملي بكثرة في مؤلفاته إلى آراء المستشرقين الألمان[٥]:متأثراً بها، أو مصّححاً لها، وفي الوقت نفسه يستعينون بمقالاته[٦].

ولعل أكثر أثار الاستشراق الألماني انتظاماً وأبرزها وأوضحها، كان بعد تأسيس الجامعة المصرية (القاهرة الآن) عام ١٩٠٨م. إذ قدم إلى التدريس فيها مستشرقون ألمان، منهم: إينو ليتمان، وبرجشتراسر، وشاده ،وبول كراوس، فأرسوا الدعائم الأولى لعلم اللغة، وفقه اللغات السامية[٧]. وأبرز تلامذتهم طه حسين[٨]. ومما ساعد على دخول أثر الاستشراق الألماني برضا عالٍ توقيتُ دخوله، فحركة الإصلاح العربي برّوادها أمثال: الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧) ،والكواكبي (١٨٥٥-١٩٠٢) ،ومحمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥)، وقبلهم الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) ، ودخول المطابع، كلها حوافز لّينت العقل العربي،ليتقبل نقداً وتوصيفا جديداً لتراثه النحوي. وقام أولئك المستشرقون وغيرهم بالتدريس، والقاء المحاضرات، ولعلَّ أشهرهم برجشتراسر، الذي ألقى في العام الدراسي (١٩٢٩-١٩٣٠م) محاضرات عن (التطور النحوي في اللغة العربية)، وفي العام الدراسي (١٩٣١-١٩٣٢م) ألقى محاضرات عن (أصول نقد النصوص ونشر الكتب)[٩]، ويراه الباحث أشهر المحاضرين؛ لأن محاضراته ألقت بظلالها على تقدم

---

[١] ظ: المستشرقون: ٦٣٣/٢، ٧٠٥، ٧٥٧، ٧٧٥، والمساهمات الألمانية: ٣٧، والمستشرقون الألمان (د. رضوان): ٥٣.

[٢] المستشرقون: ١١٠١/٣، وفي اللهجات العربية: ١٠.

[٣] للمزيد ظ: فلسفة اللغة العربية (مقدمة يعقوب صروف: ج): ٣٤-٤٢، واتجاهات البحث اللغوي، د. رياض قاسم: ٤٩-٥٠، ١٩٨، والمستشرقون الألمان (د. رضوان): ٥٤.

[٤] ظ: العرب قبل الإسلام، جرجي زيدان: ٣٣، ٣٦، وتاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان: ٧/١، ١٥، والعربية وعلم اللغة البنيوي ، د.حلمي خليل: ١٣.

[٥] ظ: الأب أنستاس ماري الكرملي، د. حكمت كشلي: ١٦، ٥٤، ٥٦، ٧١، ٩٦، ونشوء اللغة العربية، الأب أنستاس ماري الكرملي: ١٤٦-١٤٧، وأغلاط اللغويين الأقدمين، الأب أنستاس ماري الكرملي: ٤.

[٦] ظ: المعجم اللغوي التاريخي، (مقدمة فيشر: ٦).

[٧] ظ: البحث اللغوي: ٢٨، والعربية وعلم اللغة البنيوي: ٣٩-١٤٠، والمقارنات اللغوية وتاريخ اللغة العربية، د. عبد الرحمن أيوب: ١٥٢، ضمن كتاب (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية).

[٨] ظ: طه حسين مؤرخاً، عمر مقداد الجمني: ٤٦، ٦٠-٦١.

[٩] ظ: التطور النحوي للغة العربية (مقدمة د. رمضان: ٤)، وأصول نقد النصوص (مقدمة د. البكري: ٥).

الدراسات في علم اللغة في (الجامعة المصرية)، وتقدم فن تحقيق النصوص. ولجهود هؤلاء المستشرقين ساد في الجامعة المصرية المنهجان اللغويان: المقارن ،والتاريخي[١]. واستمر تأثيُر جهودهم حتى الأربعينيات من القرن العشرين بظهور كتابي علي عبد الواحد وافي (علم اللغة) ،و(فقه اللغة). وإن كان الناظر في مصادره يراه معتمداً لمراجع كثير في علمْي اللغة المقارن والتاريخي، ومؤلفات المستشرقين الألمان مثل نولدكه ،وبروكلمان ،وولفنسون ،وليتمان ولاسيما في كتابه (فقه اللغة)[٢].

ومن صور حضورهم وأثرهم في ذلك ، تعيينهم في المجامع اللغوية العربية، فقد عُيّن فيشر وليتمان عضوين في مجمع اللغة العربية في القاهرة[٣]، وعُيّن بروكلمان وهارتمان و ريتر في مجمع اللغة العربية في دمشق[٤]. زيادة على إسهاماتهم في حركة نشر التراث العربي محققاً، ليس في ألمانيا، بل في مصر[٥]. وقد كان للاستشراق الألماني أيادٍ بيضاء تسرُّ الباحثين في نشر التراث العربي محققاً، فتأثر بهم الرعيل الأول من المحققين العرب[٦].

وعمّق أثر الاستشراق الألماني عاملان هما :

الأول: الانفتاح على الثقافة واللغة الألمانيتين وعدم الاقتصار على الانجليزية والفرنسية منهما[٧].

الثاني: إرسال البعثات العلمية للجامعات الألمانية، ولاسيما الاستشراقية منها، وحين عادت ترجمت عن الألمانية دراسات مهمة، وأبرز طلابها الأوائل عبد الهادي أبو ريدة، وعبد الحليم النجار وغيرهم. وتلاهم جيل من الباحثين تخرجوا من ألمانيا ودّرسوا علم اللغة في جامعة القاهرة مثل: مراد كامل ،وخليل محمود عساكر ،وفؤاد حسنين ،وخليل يحيى نامي ،ومحمود فهمي حجازي ،ومحمد عوني عبد الرؤوف[٨]، ورمضان عبد التواب ،وسعيد حسن بحيري في جامعة عين شمس، ومحمود أحمد نحلة في جامعة الإسكندرية، وغيرهم.

---

[١] ظ: العربية وعلم اللغة البنيوي: ١٣٩-١٤٠، والبحث اللغوي: ٨٠.

[٢] ظ: فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي: ٥، ٩، ١٦، ١٧، ٢٥، ٦١، ٦٦، ٩٠، ٩١، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢.

[٣] ظ: المساهمة الألمانية: ٣٧-٣٨، والاستشراق الألماني (د. ميشال): ٢٥٨.

[٤] ظ: الدراسات العربية في ألمانيا (ديتريش): ٢٩.

[٥] ظ: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي،د.محمود محمد الطناحي: ١٢٢-١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠.

[٦] للمزيد ظ: مناهج تحقيق التراث: ٥٨، وقطوف أدبية: ٣٧-٣٨، ٦٢، ٦٨-٧٠، ١٥٠.

[٧] ظ: طه حسين والأدب الألماني، مصطفى ماهر: ٦٠-٦١.

[٨] ظ: البحث اللغوي: ٨٠.

أثر الاستشراق الألماني في دراسة العربية

وسنعرض بإيجاز لأثره، وسنقتصر على أكثره وضوحاً، مما أثار حَراكاً لغوياً، وقد ارتأى الباحث تقسيمه على ما يأتي:

الأول: أثره في اتجاهات الدراسات اللغوية

أ. الاتجاه التاريخي:

وفتح هذا الباب من التأليف كتاب (العربية:دراسات في اللغة واللهجات والأساليب) ليوهان فك، إذ درس العربية في مختلف عصورها، وتابع تطورها التاريخي في مستوياتها الأربعة، مستعملاً مصادر أدبية ،وجغرافية ،وتاريخية من خارج عصر الاستشهاد. ومن أهم الدراسات المتأثرة به أو التي أُلّفت على غراره:

١. مستقبل اللغة العربية المشتركة، د. إبراهيم أنيس (١٩٦٠) .
٢. دلالة الألفاظ العربية، د. مراد كامل(١٩٦٣) .
٣. في علم اللغة التاريخي (دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى)، د. البدراوي زهران (١٩٧٩) .
٤. ملامح من تاريخ اللغة العربية، د. أحمد نصيف الجنابي (١٩٨١) .
٥. اللهجة المصرية الفاطمية، عطية سليمان أحمد (١٩٩٣) .
٦. علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي.
٧. التطور اللغوي في عربية القرون الأولى، د. رمضان عبد التواب.

فضلا عمّا ألهمه من توجهات لدراسة التراث العربي المتمثل بكتب (لحن العامة)، و(التراث الجغرافي) ،والمصادر التاريخية والطبية وغيرها. وممّا يؤسف له أنَّ بعض الدارسين المحدثين ممّن لا يعوزهم قلّة التأليف، لجأوا إلى نقل كثير من فصول كتاب (العربية) بعد تلخيصها، وأخذ كثير من آراء يوهان فك واستنتاجاته وشواهده من غير إشارة. وأبرز هذه الدراسات: (مستقبل اللغة العربية المشتركة)[١]، و(دلالة الألفاظ العربية)[٢]، و(ملامح من تاريخ اللغة العربية)[٣]. وممّا يزيد الباحث استغراباً، أنَّ أحمد نصيف الجنابي لم يذكر كتاب (العربية) في هوامشه إلاّ مرة واحدة، متعجباً من استنتاج لمؤلفه يوهان فك[٤]!.

---

[١] ظ: مستقبل اللغة العربية المشتركة: ١٤، ١٥، ١٦، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، والعربية: ١٩، ٢٢٤، ٢٤٥، ٢٤٩، ٤١، ١٠١، ١٦١، ١٧٤-١٧٥، ١٧٩، ٢٠٢-٢٠٣، ١٧٥.

[٢] ظ: دلالة الألفاظ العربية: ٣٧-٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٤، والعربية: ١٥ و١٨-٢٠، ٢٤-٢٥، ٣٢، ٤٠-٤١ و٤٧-٥٢، ٥٩، ٦٥، ٦٧، ٩٠.

[٣] ظ: ملامح من تاريخ اللغة العربية: ١٣٥-١٥٦، ١٥٩-١٧٢، ١٧٢-١٨٢، ١٨٣-١٩١، ١٩٣-٢١١ والعربية: ١٨-٥٥، ٩٣-١٠٨، ١٣٨-١٤٩، ١٥١-١٥٩، ٢١٥-٢٣٧.

[٤] ظ: ملامح من تاريخ اللغة العربية: ١٩٨ (هامش١-٢).

إنَّ كثرة هذا النقل والتلخيص، يجعل الباحث يعدّ هذهِ الكتب الثلاثة ولاسيما كتابا (دلالة الألفاظ العربية) و(ملامح من تاريخ اللغة العربية) نسختين ملخصتين وموجزتين لكتاب (العربية) ليوهان فك، ولكن القارئ يُحرَم معهما من الأمثلة الممتعة التي يوردها يوهان بكثرة[*].

ب. الاتجاه المقارن:

وتأثر بعض الدارسين المحدثين العرب في هذا الاتجاه من التأليف اللغوي بكتاب (فقه اللغات السامية) لكارل بروكلمان، منهم:

١. رمضان عبد التواب في كتابيه (المدخل إلى علم اللغة) و(التطور اللغوي) وغيرهما. فقد تأثّر بمصطلحات بروكلمان الصرفية، وردَّدها واستعملها كثيراً[١]، وأخذ أمثلة بروكلمان وبعض تعريفاته وتقسيماته من غير إشارة لذلك[٢].

٢. خالد إسماعيل علي في كتابه (فقه لغات العاربة المقارن). وبحسب قراءات الباحث المتواضعة، فهو أكثر الباحثين العراقيين تمثّلاً لمنهج المستشرقين الألمان، وقد صرح بهذا التأثير[٣]. وإن نظرة متفحصة للموضوعات التي عالجها في كتابه (فقه لغات العاربة المقارن) نراه يعرض من خلالها للموضوعات نفسها التي عرضها بروكلمان في كتابه (فقه اللغات السامية)[**]، منها على سبيل المثال موضوع: الضمير، والمشتقات، وأوزان الفعل الثلاثي والمزيد، وأوزان الأسماء، ومقولات الجنس (التذكير والتأنيث)، والعدد (المفرد والمثنى والجمع)، والتعيين (التعريف والتنكير)، واسم العدد، ولاحقة الإعراب[٤].

---

[*] ومن الدراسات المتأثرة بكتاب (العربية) ليوهان فك كتاب (علم اللغة العربية) للدكتور محمود فهمي حجازي. للمزيد ظ: علم اللغة العربية (الفصول ملخصة بإيجاز شديد): ٢٥١-٢٥٧،٢٥٧-٢٦٠، ٢٦١-٦٣، ٢٦٣-٢٦٧، ٢٦٧-٢٧٠، والعربيـــة: ٥٩-١٤٩، ١٥٠-١٥٩، ١٧٤-١٨٨، ١٦١-١٧٣، ١٩٨-٢١٤، ٢١٥-٢٣٧.

[١] ظ: المدخل إلى علم اللغة: ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، وفقه اللغات السامية: ١٠٩-١١٠، ١١١.

[٢] ظ: التطور اللغوي: ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣، ٣٥، ٤٢، ٥٧، ٦٤، وفقه اللغات السامية: ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩-٦٠، ٦١-٦٢، ٦٤، ٧٧-٧٨، ٨٠.

[٣] ظ: فقه لغات العاربة المقارن: أ-ب.

[**] ينبغي ملاحظة التشابه حتى في عنوان الكتاب، واختلاف توصيف اللغات (بالسامية) أو (العاربة) اصطلاحي ليس غير.

[٤] ظ: فقه لغات العاربة المقارن: ١٧٤-١٨٤، ٢٢٤-٢٢٦، ٢٢٧-٢٢٩، ٢٤٤-٢٤٨، ٢٥٧، ٢٧١،١٦٤، ٢٧٩، ٢٩٢، وفقه اللغة السامية: ٨٥-٩٢، ٩٣-٩٤، ٩٥-٩٩، ١٠٠-١٠٢، ١٠٣-١٠٤، ١٠٥-١٠٧، ١٠٩-١١٢، ١٢٠-١٢١.

الثاني: أثره في تجديد الدراسات اللغوية

إن ما أحدثه المنجز اللغوي للمستشرقين في أوائل تلقيه، كان متواضعاً قياساً إلى أهميته وجدّته؛ لسببين: أولهما موضوعي، يتمثل في أنّه لم يكن تطوراً طبيعياً، بل جاء متزامناً مع تأسيس الجامعة المصرية، وحاجتها إلى أساتذة أوربيين يجعلون العلم فيها مزدهراً. وثانيهما ذاتي يتمثل في عدم القدرة على تمثّل مناهج المستشرقين الألمان وهضمها؛ لسطوة تراثنا اللغوي، ولمحاذير دينية تتمثل بأفضلية لغة القرآن على لغة الكفار[1]. ولتأكيد أثره في التجديد اللغوي سيعرض الباحث مثالين رغبة في الاختصار؛ لأنّه يريد لفصول بحثه اللاحقة أن تكشف مزيداً من الأثر والتأثر.

المثال الأول: ما فتحته محاضرات برجشتراسر (التطور النحوي) من باب أمام التجديد في دراسة العربية، والإفادة من المنهجين المقارن والتاريخي، وأبرز تأثر بها كان عند إبراهيم مصطفى[*] في كتابه (إحياء النحو ١٩٣٧)، وعبد المجيد عابدين في كتابه (المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ١٩٥١م)[2]. وربما أراد عبد المجيد عابدين أن يطوّر محاولة إبراهيم مصطفى التجديدية بإفادته من دراسات المستشرقين على نحو أعمق.

المثال الثاني: لقد كانت الدراسة الصوتية عند العرب أقرب الدراسات اللغوية إلى الوصفية والملاحظة الذاتية، وأبعدها عن التعليل، ولَمَّا أشار المستشرقان الألمانيان برجشتراسر[3] ،وشاده[4]، إلى التطور الصوتي الذي لحق بعض الأصوات العربية، فقد فتحا باب الاهتمام بالوصف الجديد لمخارج لأصوات العربية وصفاتها، سابقين أول محاولة حديثة قام بها إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللغوية) في سنة ١٩٤٧م في طبعته الأولى[**].

---

[1] ظ: المدخل إلى دراسة النحو العربي، عبد المجيد عابدين: ٢٢-٢٣.

[*] وقد شارك إبراهيم مصطفى في بحثه (أول من وضع النحو) في مؤتمر المستشرقين الحادي والعشرين بباريس ١٩٤٨، ظ: (مقدمة في علوم اللغة، د. البدراوي زهران: ٣٩).

[2] ظ: إحياء النحو: ٤٣-٤٥، ٤٨، والمدخل إلى دراسة النحو العربي: ٤-٥،٢٠. فقد ترجم برجشتراسر لإبراهيم مصطفى نصاً لبروكلمان، ظ: إحياء النحو: ٤٣.

[3] ظ: التطور النحوي:١٦-٢٠.

[4] ظ: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، آرثور شاده: ٤٤-٤٦، ٥٨-٥٩.

[**] في دراسات علماء التجويد، ملاحظات في اختلاف نطق بعض الأصوات عن وصف سيبويه لها، وعن تطور صوت الطاء على سبيل ، ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري: ٢٤٤-٢٤٧.

ولا يقتصر أثر الاستشراق الألماني على هذين الاتجاهين فحسب ، بل بعث في مصر– بوصفها في نظر الباحث أكثر الدول العربية تأثرا وإفادة من دراسات هذا الاستشراق–تياراً لغوياً . فتسّيد الدراسات اللغوية في مصر تياران:

الأول: يمثله خريجو جامعة لندن ولاسيما تلامذة فيرث، مثل: إبراهيم أنيس والجيل الذي تلاه، مثل: تمام حسان، ومحمود السعران، وكمال بشر، وعبد الرحمن أيوب، واهتم هذا التيار بالتأليف بمنهج وصفي، فأشاعوا إعادة توصيف العربية على وفقه، وترجموا مؤلفات مهمة في علم اللغة الوصفي. إنّ ما كتبه تمام حسان– خريج جامعة لندن–، قد خصَّ المنهج الوصفي بكتابين نظريين[١]، وآخر تطبيقي[٢]

الثاني: يمثله خريجو جامعات ألمانيا ولاسيما المهتمة منها بالدراسات الاستشراقية، ولاسيما تلامذة المستشرقين الألمان، مثل: عبد الحليم النجار ،ومراد كامل ،والسيد يعقوب بكر ،ورمضان عبد التواب ،ومحمود فهمي حجازي وغيرهم، واهتم هذا التيار بالتأليف على وفق مناهج المستشرقين الألمان، فأشاعوا المنهجين التاريخي والمقارن أكثر من سواهما، واهتموا أيضاً بالتراث تحقيقاً ونشراً، وبترجمة أهم دراسات المستشرقين الألمان، ولعلَّ أبرزهم– برأي الباحث– وأكثرهم تمثلاً للمنهج الألماني رمضان عبد التواب. وتتضح أيسر مقارنة بين الاتجاهين فيما كتبه في كتابه (المدخل إلى علم اللغة)، فلقد تكلم على المنهج المقارن[٣]، ومن ثّم خصَّه بتطبيقات صوتية ،وصرفية وتركيبية كثيرة وصلت إلى ثلث الكتاب تقريباً[٤]. وملّديُعطي كتابه انحيازاً لطابع الاستشراق الألماني في دراساته اللغوية، ومسوِّغا للباحث ليسميه (المدخل إلى علم اللغة المقارن). ولكن نظرة سريعة لتبيان الفرقبين التيارين يُنظر الجدول الآتي:

المدرسة الألمانية في مصر[٥]	المدرسة الإنجليزية فيها
١. اهتمت بترجمة دراسات تاريخية ومقارنة تخصّ العربية عن الألمانية، واهتمت بالمكتوب.	١. اهتمت بترجمة دراسات عن الانجليزية ، طابعها العام : الدراسة الوصفية، واهتمت بالمنطوق.
٢. بت أعمالها اهتماماً كبيراً وترحيباً عالياً .	٢. أثارت أعمالها ردود فعل متباينة.

[١] هما: (مناهج البحث في اللغة) ،و(اللغة بين المعيارية والوصفية).

[٢] هو (اللغة العربية، معناها ومبناها).

[٣] ظ: ١٩٨–٢١١.

[٤] ظ: ٢١٣–٣٠٧.

[٥] للأقطار العربية الأخرى خريجون من الجامعات الألمانية، منهم على سبيل المثال: د. إسماعيل أحمد عمايرة من الأردن، و د. أحمد إرحيم هّو من سوريا، و د. خالد إسماعيل علي من العراق وغيرهم.

٣. اهتمت بالتراث تحقيقاً ونشراً ودراسة.	٣. لم تحقق التراث في الغالب، واهتمت بنقده وإعادة وصفه وتفسيره.
٤. تأثرت بكبار المستشرقين الألمان وأعمالهم، مثل نولدكه وبروكلمان وغيرهما.	٤. تأثرت بأبرز علماء اللغة الإنجليزية مثل فيرث.
٥. أهم ممثليها: عبد الحليم النجار ،ورمضان عبد التواب، ومحمود فهمي حجازي، ومن المعاصرين: سعيد حسن بحيري، ولا تزال مستمرة وإن تطورت قليلا.	٥. أهم ممثليها: إبراهيم أنيس، وتمام حسان، وكمال بشر، وعبد الرحمن أيوب ،ومحمود السعران، ولا تزال مستمرة.

لقد أسهمت دراسات المستشرقين الألمان بتفسيراتها الجديدة في فهم كثير من القضايا العربية على نحو تبين معه بعض القصور في تراثنا اللغوي. وقد أفصحت دراساتهم عن كفاية في دراسة العربية بمنهج تاريخي ومقارن، مع ربطها–أحياناً – بوصف لغوي جديد. ثّم عمَّق أثرهم تلامذتُهم من خريجي جامعات ألمانيا.

الفصلُ الأوّل

الدراسات اللغوية عند العرب

الفصل الأول
الدراسات اللغوية عند العرب

نشأتها

انبثقت الدراسات اللغوية عند العرب معنّيةً بتفهّم القرآن الكريم، ومُندفعةً للحفاظ على العربية، على وفق ما تقتضيه الضرورات الحضارية التي مثّلتها الحياة الجديدة في ظل الفتوحات الإسلامية. فلم ينقضِ القرن الثاني للهجرة، حتى تكشّف عن درس لغوي، يُثير إلى الآن مزيداً من الاهتمام.

وإذا ما ذهب الباحث مع بروكلمان[١]، ونولدكه[٢]، وغيرهما[٣]، إلى وصف عمل ابن عباس (٦٨هـ) في استشهاده بتفسير المفردات القرآنية بأبيات من الشعر الجاهلي، من أوائل الأعمال اللغوية المُنظّمة والمقصودة في تاريخ الدراسات اللغوية، فإن الباحث يزيد عليه، نقط أبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ) فقد كان عملاً قرآنياً، قصد تثبيت النطق العربي للقرآن الكريم[٤]، وإنّ هذه الجهود بدا دافعُها الأول متمثّلاً بالقرآن الكريم وتفسيره، وتبيان غوامضه، وإيضاح علائقه التركيبية، في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة. لذا نجد أحد الدارسين من يقصر أسباب نشأة هذه الدراسات على فهم القرآن الكريم[٥].

إن أوائل هذه الجهود قد نشأت مختلطة، ومتداخلة ، مع الدراسات القرآنية[٦]، ربما لأنها كانت دراسات شفوية، تعتمد النص لتُحلّله بمستوياته كلها. وبتقدمها تم الاستقلال في التأليف اللغوي، وصار الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) يدرس النحو غايةً لفهم اللغة العربية، وليس بوصفه أداةً لتفسير القرآن الكريم[٧].

إنّ الاهتمام بمعاني المفردات، وفهم أسرار التركيب، ولاسيما مع النص القرآني، أنشأ علمي النحو والمعجم وجعلهما عربيين ومتزامنين. وما كان هذا إلاّ تماشياً مع النظرة اللغوية الحديثة، التي تقول، بأنّ: "النحو والمعجم، قسمان هامان من البنية اللغوية"[٨]. وقد ألمح دارس

---

[١] ظ: تاريخ الأدب العربي: ق٢/٣٩٥.

[٢] ظ: تاريخ القرآن: نولدكه: ٣٨٣.

[٣] ظ: تاريخ التراث العربي: مج١، ج١/٦٤-٦٥.

[٤] ظ: القرآن الكريم وأثره، د. عبد العال سالم مكرم: ٥٦، المعجمية العربية، جون أ.هيوود: ٣٩.

[٥] ظ: النحو العربي والدرس الحديث ،د.عبده الراجحي: ١١، ١٦، فقه اللغة في الكتب العربية د.عبده الراجحي: ٣٣-٣٥.

[٦] ظ: الدراسات اللغوية عند العرب، محمد حسين آل ياسين: ٧٨، المعجم العربي ، د. حسين نصار: ١/٣١.

[٧] ظ: الخليل بن أحمد، د. مهدي المخزومي: ٣٧.

[٨] علم اللغة وصناعة المعجم، د. علي القاسمي: ٦٣.

إلى هذه الحقيقة، فعدَّ تطورهما غير ناشئ من تأثير أجنبي، وإنما هو تطوّر مدين إلى عبقرية العربية[١]. وصارت بذلك عوامل نشأة الدراسات اللغوية عند العرب، أدلةً لأصالتها.

وقد عرض الدارسون المحدثون للعوامل التي أدّت إلى نشأة هذه الدراسات، وأسهبوا فيها، وفصّلوها[٢]. ولا يميل الباحث إلى تضخيم الأسباب وتكثيرها، ولا يقبل أن يكون من الأسباب ما يُسمّونه بالسبب القومي. وكأننا ننتظر من عرب صدر الإسلام روحاً قومية تبعث هذه الدراسات اللغوية، ونسينا أن للروح القومية هذه شيءٌ جديد، والمنهجية تتطلّب أن توضع الأحداث وتفسيراتها في سياقها التاريخي المعقول، ومن ثَمّ فلا يصحُّ عند الباحث من عوامل النشأة إلاّ الحاجات التعليمية، والدوافع الدينية، ويوافق في ذلك فيشر بروكلمان، ونولدكه أيضاً[٣].

وإذا كان انبثاق دراسة العربية يحتضنه فهم القرآن الكريم، فلقد صار (الموالي)، عاملاً مُسرِّعاً في تطوّرها. ودخولهم أضعف العربية، وأحاق بها ما يُهدّد وحدتها وسلامتها، وإن كان دخولهم قد أسهم في نشر الإسلام. وصار التباين- فيما بعد- واضحاً بين اللغة الفصحى واللغة المنطوقة[٤]. وأضحى طموح (الموالي) امتلاك العربية، رغبةً في التكلّم بها، وقراءة القرآن، واحتلال مكانةٍ مرموقة في المجتمع العربي[٥]. ممّا أوجد دافعاً في نهاية القرن الأول لدراسة قواعد اللغة العربية، ومنع تدهورها[٦]. ويتّضح أنّ غاية أوائل هذه الدراسة كانت تفهّم القرآن الكريم، وانتهت إلى تقعيد الفصحى لمواجهة اللحن، ولغة (الموالي) الزاحفة، وبذلك بقيت الغاية التعليمية حافزاً يُسيّر الدراسات اللغوية. وقد أثّر سعي الموالي لتعلّم العربية، في تحويل دراسة "النحو العربي من منهج علمي، إلى منهج تعليمي..."[٧]، مبتدئاً بما هو عملي[٨]، ومقتصراً على مجرّد النطق الصحيح، وفيما بعد تطوّرت دراسة العربية، وتعقّدت بصورة كبيرة .

وقد أجاد كثير من (الموالي) في دراسة العربية، وتفوّقوا فيها، وهذا مرجعه أمران:

الأول: أمل يحدوهم في تولي المناصب والتقرّب إلى الحكّام، بإجادة لغة الدولة والدين.

---

[١] ظ: تراث الإسلام: ج٢/٨-٩.

[٢] وللمزيد ظ: التفكير اللغوي، بين القديم والحديث، د. كمال بشر: ٢٧٢-٢٧٣، وعلم اللغة: ٣٥٣-٣٥٤، والنحو العربي والدرس الحديث: ٣٤-٣٥، الأصول، د. تمام حسان: ٢١-٢٧.

[٣] ظ: المعجم اللغوي التاريخي:(المقدمة: ٤)،وتاريخ الأدب العربي: ق١، مج٢/٤٥٠،وتاريخ القرآن: ٥٦٣.

[٤] ظ: اللغات السامية : ٧٩، وتاريخ اللغات السامية : ١٨٨.

[٥] ظ: تاريخ الشعوب الإسلامية: ٢/٢٦-٢٧.

[٦] ظ: العربية : ٤٤، وتاريخ اللغات السامية: ١٨٨.

[٧] الأصول: ٢٦، و ظ: ٢٧، ٢٦٠.

[٨] ظ: فقه اللغة في الكتب العربية: ٣٣.

الثاني: شعورهم بظلم فكرة (السليقة) المعتمدة شرطاً في إجادة العربية، وبخسها لإمكاناتهم؛ ولهذا كان بعضهم مثل أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) "مولعاً لكونه من الموالي بالعثور على الشيء في لغة البدو ويتناوله بالنقد والتصحيح"[١].

وتطّورت الدراسات اللغوية على أيدي (الموالي) والعرب، ولاسيما في العصر العباسي، وقد نـّوه يوهان فك بها وبقيمتها وتكاملها، وبعرضها "اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها، من ناحية الأصوات، والصيغ، وتركيب الجمل، ومعاني المفردات، على صورة محيطة شاملة، بحيث بلغت القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح لمستزيد"[٢].

أصالتها

عنى الدارسون المحدثون، مستشرقين وعرباً، بالحديث عن أصالة الدراسات اللغوية عند العرب. ويردُّ الباحث دعاوى التأثير الأجنبي إلى فكرتين:

الأولى: نشأة علوم العربية ناضجة.

الثانية: سيطرة فكرة السبق الزمني.

أّما الفكرة الأولى، فليست بصحيحة، فلم يولد علم من علوم اللغة العربية متكاملاً، وناضجاً، بل خضعت كلها لناموس الارتقاء، فالنحو، نشأ لحاجات دينية وتعليمية، ثّم تطّور حتى وصل مُدّوناً بكتاب سيبويه، ثّم أخذ بالنضج أكثر فيما بعد. أما المعجم العربي، فقد نشأ بأسئلةٍ تدور حول معاني بعض كلمات القرآن الكريم، ثّم تطّور إلى رسائل لغوية صغيرة، فمعاجم الموضوعات، ثّم المعاجم الكبيرة. إنّ مردّدي هذه الفكرة يتناسون بواعث نشأة هذه الدراسات، وهي بواعث تنتمي للبيئة العربية، ولضرورات الدين الجديد (الإسلام).

أما الفكرة الثانية، فهي فكرة عامة لا دليل على صحة تطبيقها في تراثنا اللغوي. فلم يعرف علماء اللغة العربية، اللغات الأخرى–إلاّ لماماً – كي ينقلوا أنظمتها، فتطّبق على العربية. فإن عرفها بعضهم فلم تتعدَّ معرفتهم ملاحظات يسيرةٍ لم تُستثمر لغوياً .

إن من الحقائق عند مؤرخي علم اللغة، أن "العناية باللغة وبالمشكلات اللغوية العملية قد أّدت إلى نشأة العلم اللغوي، بشكل مستقل في أكثر من مركز من مراكز الحضارة، وكان لكل مركز فيها مزاياه ومنجزاته"[٣]، وليس مركز الحضارة الإسلامية بدعاً من غيرها. زيادة على ذلك، فإن لكل تـراث لغوي تاريخه الخاص، وإسهاماته المُميّزة التي لا يمكن ربطه بعلاقة تاريخية إلاّ

---

[١] العربية: ٥٥–٥٦.

[٢] م. ن: ١٤، و ظ: ١٣.

[٣] موجز تاريخ علم اللغة: ٢٣.

بطريقة مُصطنعة[1]. وتكمن أهمية الدراسات اللغوية عند العرب في نظر المستشرقين عموماً في[2]:

أ. وقوعها في موقع متوسط في الجغرافية والتاريخ بين الدراسات اللغوية اليونانية في الغرب، والدراسات اللغوية الهندية في الشرق.

ب. أهميتها؛ لكونها حلقة مهمة في سلسلة العلوم الإسلامية، ومنجزاً لمن أراد تقويم الحضارة الإسلامية، ووسيلة لإجادة العربية وترجمة نصوصها وتحقيقها.

إن القرآن الكريم نص لغوي، اقتضت العناية به الخوض في دراسات لغوية وأدبية، تطورت بمرور الزمن إلى ما عليه الآن. وفي الصفحات الآتية، سيُرى استدلالٌ على أصالة الدرس اللغوي عند العرب في دراساتهم : الصوتية ،والمعجمية ،والنحوية . عندها تُثبت الأصالة من غير تعصّب للعربية أو قسرٍ لنصوصها.

أولاً: الدراسات الصوتية عند العرب بواعثها

يمثّل القرآن الكريم في تلاوته، ورواية قراءاته، وتفسيره وشرح غريب مفرداته، أهم باعث على تبكير العرب بدراساتهم اللغوية. وقد أشار مؤرخو علم اللغة إلى ظاهرة ارتباط نضج الدراسات اللغوية، ولاسيما الصوتية، بوجود كتاب ديني مقدّس، كما عند الهنود القدماء[3]. وينقل كمال بشر هذه الفكرة عن فيرث، الذي يقول: "إن الدراسات الصوتية نشأت في أحضان لغتين مقدّستين، هما العربية، والسنسكريتية"[4].

ولم يغب هذا عن المستشرقين الألمان في حديثهم عن الدراسة الصوتية عند العرب، فيقول آرتورشاده: "إن هذا الباعث كان القرآن الشريف..."[5]وفي مكان آخر يُفصّل قوله: "إن حدوث علم الأصوات عند العرب، مقرون بنشوء علم التجويد..."[6]. أما برجشتراسر، فيوضّح هذه النشأة بقوله: "وقد كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من أجزاء النحو، ثّم استعاره أهل

---

[1] ظ: اللغة ودارسوها ضمن كتاب (الموسوعة اللغوية): ٧٨٨/٣.

[2] ظ: نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، جيرار تروبو: ١٢٥، والمستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، د. إسماعيل أحمد عمايرة: ١٣-١٤.

[3] للمزيد ظ: اللغة ودارسوها: ٨٢٨/٣، والبحث اللغوي عند الهنود، د. أحمد مختار عمر: ٤٦.

[4] التفكير اللغوي بين القديم والحديث: ٢٩.

[5] علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: ٣٠.

[6] م. ن: ٣١.

الأداء والمقرئون، وزادوا فيه تفصيلاتٍ كثيرة، مأخوذة من القرآن"[١]، وبذلك صارت الدراسة الصوتية في التراث اللغوي العربي مقدمة لموضوع آخر ، لكنها متصلة به .

وتُعدّ دراسة الأصوات وقضاياها من أولى خطوات الدرس اللغوي . وليس بغريب أن تكون هذه الدراسة ممّا حفّزها اللحن . فهذا اللحن الذي جعل أبا الأسود الدؤلي يبتكر نقطه، كان منه ما يُعد أخطاءًصوتية، شملت الخطأ في أداء بعض أصوات العربية، أو عدم التمكّن من لفظها، لأن متعلمي أيّة لغة– كما يرى كمال بشر– مُعرّضون للخطأ في نطقها[٢]. أمّا إذا نظرنا للإعراب على أنه لاحقة صرفية، فسيكون الخطأ الإعرابي خطأً صوتياً . وبذلك لا يكون تجويد القرآن الكريم وحده الباعث على الدراسة الصوتية، ولاسيما أن الدراسات الصوتية الأولى التي وصلت إلى الدارسين كانت إما مختلطة بغيرها، وإمّا "ملحقة بالنحو، لا ممهدة له ولا معينة على فهمه كما ينبغي أن تكون"[٣]. زيادة على أن تجويد القرآن باعث متأخر، فلقد تأخر التأليف في التجويد إلى القرون الأربعة الهجرية الأولى. وبذلك يصح رأي غانم قدوري بأن "دراسة الأصوات العربية... كان يتقاسمها علماء الصوت وعلماء التجويد..."[٤]. وهذا الاهتمام بالدراسات الصوتية في مرحلة متأخرة اختص بها "علماء التجويد والأداء القرآني..."[٥]، وإن لم تنقطع دراسات العلماء الآخرين عن الاهتمام بها، والتأليف فيها.

تطورها وأهميتها

نشا علم الأصوات جزءاً من النحو العربي، وعُدّت دراستها مقدمة لغيرها، فجاءت عند الخليل مقدمة لعمله المعجمي، فوظّف نظريته الصوتية في فكرةٍ رياضية لإحصاء مفردات العربية وإمكانياتها في الاستعمال.أما سيبويه فقد مهّد دت دراسته الصوتية لموضوع الإدغام، فوظّفها في مجال التشكيل الصوتي (الفونولوجيا). ولم تستقل الدراسة الصوتية إلاّ على يد ابن جني في القرن الرابع الهجري، في كتابه (سر صناعة الإعراب)، فكان "العمل الوحيد للنحاة الذي أخذ شكلاً مستقلاً ..."[٦]، وقد كتب ابن جني فيه أُصولاً لعلم الأصوات العام، على الطريقة العربية، وعلى أساسٍ من الأفكار الأصلية..."[٧]. ولكن هذا لا يعني أنه عمل صوتي مستقل،

---

[١] التطور النحوي: ١١.

[٢] ظ: علم الأصوات: ٥٨٧.

[٣] الأصول: ٩٧، وظ: ٩٦.

[٤] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٨٣.

[٥] التفكير اللغوي بين القديم والحديث: ٢٧٧، وظ: ٢٧٦.

[٦] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٨١.

[٧] التفكير الصوتي، هنري فليش: ٥٥.